فن المقدمات والخواتيم

إعداد

أ. د. محمد مختار جمعة

وزير الأوقاف

رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

وعضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف

١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م

الهيئة المصرية العامة للكتاب

الهيئة المصرية العامة للكتاب

رئيس مجلس الإدارة

د. هيثم الحاج علي

فن المقدمات والخواتيم

إعداد

د. محمد مختار جمعة

الطبعة الأولى

للهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٢١.

ص.ب ٢٣٥ رمسيس
١١٩٤ كورنيش النيل - رملة بولاق القاهرة
الرمز البريدي : ١١٧٩٤
تليفون : ٢٥٧٧٧٥١٠٩ (٢٠٢) داخلي ١٤٩
فاكس: ٢٥٧٦٤٢٧٦ (٢٠٢)

الطباعة والتنفيذ
مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن توجه الهيئة، بل تعبر عن رأي المؤلف وتوجهه في المقام الأول.

حقوق الطبع والنشر محفوظة للهيئة المصرية العامة للكتاب.
يحظر إعادة النشر أو النسخ أو الاقتباس بأية صورة إلا بإذن كتابي من الهيئة المصرية العامة للكتاب، أو بالإشارة إلى المصدر.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ٢٦
وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي﴾

[سورة طه: ٢٥– ٢٨]

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمـة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين.

وبعد:

فمن خلال ما قمت به من مناقشة لكثير من الرسائل العلمية، أو تحكيم للبحوث، أو قراءة للكتب، ومن خلال متابعتي لأداء كثير من الخطباء رأيت أننا في حاجة ماسة إلى لفت النظر إلى أهمية العناية بالمقدمات والخواتيم، ففي الوقت الذي يجيد فيه كثير من الكُتَّاب والباحثين كتابة مقدمات وخواتيم كتبهم وأبحاثهم، ويجيد كثير من الخطباء إعداد مقدمات خطبهم وخواتيمها، فإن بعض الباحثين والخطباء لم يعتنوا بمقدمات وخواتيم أعمالهم العناية اللازمة، وربما لم يدرك بعضهم أهمية مقدمة العمل وخاتمته،

أو لم يدرسوا فن كتابة المقدمات والخواتيم، مما دفعني إلى محاولة إلقاء الضوء على أهمية هذا الأمر.

وقد قدمت للموضوع بتوطئة عن أهمية المقدمات والخواتيم، متضمنة مقدمة كل من: القصيدة، والخطبة، والكتب، والرسائل العلمية، ثم عرضت نماذج لبعض المقدمات والتقديمات التي قدمت بها لبعض الكتب، ونماذج لبعض الخواتيم أو الخلاصات التي اختتمت بها بعض الأعمال العلمية، أو تلك التي نشرت على ظهر بعض الكتب، لتكون بمثابة تعريف أو تلخيص لمضمونها.

آملًا أن أكون قد لفتُّ بذلك النظر إلى موضوعٍ مهم في مجال الكتابة والخطابة وغيرها من فنون القول، سائلًا الله ﷻ أن يتقبل هذا العمل، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن يرزقنا السداد والتوفيق.

والله من وراء القصد وهو الموفق والمستعان.

أ.د. محمد مختار جمعة مبروك
وزير الأوقاف
رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
وعضو مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر الشريف

توطئة
أهمية المقدمات والخواتيم

لكل عمل من الأعمال مطلع أو مقدمة أو مستهل، وخاتمة أو منتهى ينتهي إليه، شعرًا كان أم نثرًا، كتابًا كان أم رسالة علمية.

وقد عني الكُتَّاب والدارسون بما أطلقوا عليه براعة الاستهلال، سواء في القصيدة أم الخطبة أم المقالة أم القصة أم الأقصوصة؛ لأن المطلع هو أول ما يواجه به الشاعر أو الكاتب أو الخطيب المتلقين لفنه، وعليه أن ينتقي فيه كلامه انتقاء، بحيث يجعل منه توطئة علمية ونفسية وأدبية لموضوعه، فإما أن يجتذب القارئ أو السامع إليه أو يصرفه عنه.

وبالطبع فإن فنيات مقدمة القصيدة غير فنيات مقدمة الخطبة، غير الكتاب أو البحث أو الرسالة العلمية، على أن النُّقَّاد المتخصصين في جميع الفنون والعلوم يطلبون جودة

المطلع وبراعته واتساقه مع ما بعده: شعرًا، أو خطابة، أو كتابة علمية أو أدبية.

وإذا كانت مقدمة العمل هي أول ما يطالعك منه، فيكون دافعًا ومشوقًا لمواصلة التفاعل معه قراءةً أو استماعًا، أو صادًّا لك عنه؛ فإن خاتمة العمل هي آخر ما يقرع الأذن أو يؤنس العين منه، فلا ينبغي لعاقل أن يمحو محاسن أوائله بمساوئ أواخره، فإذا كان قد استطاع أن يجعل من المطلع مفتاحًا للقلوب والآذان والأبصار؛ فإن عليه أن يجعل من الخاتمة قفلًا يحكم به عمله.

مقدمةالقصيدة:

أكثر مقدمة أخذت حظًّا وافرًا من الدراسة والنقد، سواء من جهة كون القصيدة تنتمي إلى النمط التقليدي الذي غالبًا ما يستهله الشاعر بالغزل أو بكاء الطلل أو بهما معًا، أم من جهة كونها تنتمي إلى النمط التجديدي أو الحداثي الذي يدخل فيه الشاعر إلى موضوعه مصافحة، ويتناوله مكافحة دون تقديم بغزل أو بكاء طلل، أم كان التناول من جهة تناسب أجزاء القصيدة والتوازن بينها، وكون المقدمة جزءًا لا يتجزأ من نسيج القصيدة نفسيًّا أو موضوعيًّا أو فنيًّا.

وفي مجال الإبداع الشعري نميل إلى إعطاء الشاعر حريته ليعبر عن تجربته بالطريقة التي يراها محققة لمستوى الإبداع الذي يرنو هو – ونرنو نحن معه – إليه.

مقدمة الخطبة:

لا شك أن مقدمة الخطبة تختلف باختلاف موضوعها، فمقدمة الخطبة الدينية – ولا سيما في الجمع والعيدين – غير مقدمة الخطبة السياسية، وكلتاهما تختلف بالطبع عن مقدمات خطب المناسبات الاجتماعية كالتهاني والتعازي، فحيث لا يُطلب من الخطيب السياسي سوى أن يحسن الاستهلال، ويراعي ظروف الحال والمقام ومستوى مخاطبيه؛ فإن الخطبة الدينية تقتضي طبيعتها بدءها بالحمد والثناء على الله ﷻ والصلاة والسلام على رسوله الكريم ﷺ، وأن تدل صراحة أو إيماء على موضوعها، وأن تكون بمثابة التهيئة أو التوطئة له في يسر وسلاسة وإيجاز.

كما يقتضي مقامها أن تختم بالدعاء، على أن يكون يسيرًا دون إيجاز مخل أو إطالة مملة، و يا حبذا لو كان الدعاء أيضًا مشتقًّا من موضوع الخطبة، متصلًا به، متسقًا معه، خاتمًا ومتممًا له.

وشاع في العقود الماضية لدى بعض الخطباء الوقوع في تنميط المقدمات والخواتيم، حيث كان الخطيب يسرد في مقدمة خطبته معظم آيات التقوى في القرآن الكريم لتكون أشبه بالمقدمة الثابتة لكل خطبة بغض النظر عن موضوعها، غير مدرك أن الأمر بالتقوى ليس شرطًا أن يكون في المقدمة، ولا يستوجب بالضرورة سرد جميع آيات التقوى أو معظمها أو بعضها، فكل أمر بخير هو أمر بالتقوى، وكل نهي عن شر فهو أمر بالتقوى أيضًا.

وقد تكون لدى بعض الخطباء مجموعة أشعار ثابتة جاهزة مقولبة يحاول أن يستثير من خلالها العواطف بغض النظر عن اتساقها مع الموضوع أو عدم اتساقها معه.

أما في الختام فربما كنت تسمع من بعضهم جمعًا لآيات الدعاء وأحاديثه وما أُثر منه وما لم يؤثر، بحيث تسمع من هذا الخطيب أو ذاك خطبًا بها مقدمة طويلة ثابتة وخاتمة من الدعاء طويلة ومنمطة، ولا تكاد تجد بين المقدمة والخاتمة شيئًا جديدًا أو تحليلًا لموضوع أو موقف تحليلًا علميًّا أو فقهيًّا أو دعويًّا سوى عدة جمل لا صلة لها بالمقدمة ولا بالخاتمة.

مقدمة الكتاب والرسائل العلمية:

تتطلب البحوث العلمية أن يفصح الباحث في مقدمته عن سبب أو أسباب اختيار موضوعه، وخطته العلمية، ومنهجه البحثي وأهم الدراسات التي سبقت في موضوع بحثه، والجديد الذي يمكن أن يضيفه البحث في بابه ومجاله، ثم تأتي الخاتمة لتلخص أهم نتائج البحث وتبرز الجديد فيه.

وإذا كانت مقدمة البحث العلمي هي واجهة الكتاب، وقد يضطر الباحث إلى كتابة مسودتها كخطة أوليَّـة لبحثه؛ فإن عليه مراجعتها مرات ومرات قبل تصدير الكتاب بها لتأتي معبرة عنه متسقة مع مضمونه ومحتواه.

أما خاتمة الكتاب أو البحث العلمي فهي بالطبع آخر ما يدونه الكاتب أو الباحث بعد أن يفرغ من بحثه؛ لذا فإن عليه أن يتأنى في صياغتها غاية التأني، وكأنه يقول: أنا هنا، ليبرز أهم ما أنتجه أو أضافه أو انتهى إليه في كتابه أو بحثه العلمي.

ويمكن للناقد الخبير أن يقرر بعد قراءة المقدمة والخاتمة المضي في قراءة الكتاب أو الرسالة أو عدم المضي فيها، كما يمكنه أن يبني حكمًا ولو أوليًّا عن مستوى الكتاب أو البحث أو الرسالة العلمية.

ومن ثمة فإننا ننصح شباب الكُتَّاب والباحثين أن يجتهدوا غاية الاجتهاد في أن تكون مقدمات وخواتيم بحوثهم معبرة عن شخصيتهم العلمية من جهة، وعن مضمون عملهم العلمي من جهة أخرى، وأن ينأوا في كتابة مقدمات وخواتيم أعمالهم العلمية عن كل ضروب النقل أو الحشو أو التعقيد اللفظي أو المعنوي، وأن يعبروا فيهما عن خلاصة طرحهم وتناولهم العلمي بما يكشف عن قدراتهم العلمية والإبداعية والمهارية في مجال البحث والتأليف العلمي، وقدرتهم على إعمال العقل تفكيرًا وإبداعًا، وعلى صياغة مفاهيمهم بأساليبهم الخاصة التي يمكن أن تصير مع الزمن طابعًا مميزًا لهم وبصمة خاصة بهم.

* * *

المبحث الأول

مقدمات سلسلة "رؤية"

ويشمل: ثلاث مقدمات وخمسة تقديمات من هذه السلسلة الماتعة

مقدمة كتابنا
"الجاهلية والصحوة"

إن معركتنا مع الإرهاب والتطرف الفكري لم تنته بعد، حيث صار استخدام الجماعات المتطرفة أحد أهم أدوات حروب الجيل الرابع، ولا سيما المسلحة منها التي تتخذ من استحلال الدماء والأموال منهجًا أيديولوجيًّا وواقعيًّا تتقوت منه أو عليه.

وفي سبيل تحقيق أهدافها وأهداف من يدعمها ويمولها عمدت الجماعات المتطرفة إلى المغالطة وليّ أعناق النصوص تارةً، واجتزائها من سياقها تارةً، وتحريف الكلم عن مواضعه تارةً أخرى.

وقد لعبت جماعات التطرف الديني على عواطف الشباب من خلال مصطلحات زائفة، ظاهرها فيه شحذ الهمم، وباطنها من قبله الفساد والإفساد

والضلال والبهتان، ومن الألفاظ التي حمَّلها المتطرفون ما لا تحتمل: "الجاهلية" و"الصحوة".

أما لفظ الجاهلية فقد حاولت الجماعات المتطرفة إطلاقه على بعض مجتمعاتنا المؤمنة المعاصرة ظلمًا وزورًا، وهو أمر مردود عليه شكلًا ومضمونًا، أما من حيث الشكل أو من حيث اللغة فالجاهلية التي أُطْلقت على الفترة التي سبقت ظهور الإسلام ليست من الجهل ضد العلم، ولم يقل أحد: إنها من الجهل نقيض الإيمان أو الإسلام؛ إنما هي من الجهل نقيض الحلم.

وأما من حيث المضمون، فمن يقول - مثلًا - عن مصر الأزهر، مصر المساجد والمآذن، مصر القرآن، مصر العلم والعلماء، مصر التي يدرس بأزهرها الشريف نحو مليوني طالب وطالبة، ويستضيف عشرات الآلاف من الطلاب الوافدين من مختلف دول العالم لدراسة صحيح الدين، بلد يطوف علماؤه وأئمته مختلف دول العالم لنشر صحيح الدين، بلد يحتضن القرآن الكريم وأهله ويكرم حفظته إنه مجتمع جاهلي، لا يمكن أن يقول ذلك إلا

حاقد، أو حاسد، أو جاحد، أو مأجور أو مُسْتغل من أعداء الدين والوطن.

وكذلك الحال مع سائر دولنا العربية والإسلامية التي حاول المتطرفون أن يتخذوا من وصفها بالجاهلية وسيلة لإفشالها أو إسقاطها أو هدمها أو تمزيقها.

وأما لفظ (الصحوة) فقد برز كمصطلح تنظيري لجماعة الإخوان الإرهابية ومن سار في ركابها من الجماعات المتطرفة.

والصحوة في منظورهم هي صحوتهم هم، لكن ضد من؟ ضد أوطانهم !! قصد إضعافها وتمزيقها وتفكيك بِناها الوطنية؛ لأن هذه الجماعات لا يمكن أن يكون لها وجود ولا أن تحقق أغراضها وأغراض من يمولها ويستخدمها في ظل دولة قوية صلبة متماسكة، فهي لا تقوم إلا على أنقاض الدول، ومصلحة الجماعة عندهم فوق مصلحة الدولة، ومصلحة التنظيم فوق مصلحة الأمة، وفوق الدنيا وما فيها، سلاحهم الكذب، وبث الشائعات، والزور والبهتان، وغايتهم الهدم والتخريب، فهم لا يحسنون سوى الهدم، أما البناء والعمران فهيهات هيهات، فضلًا عن أنهم لا يؤمنون بوطن ولا بدولة وطنية.

ناهيك عن دعواتهم المتكررة إلى العنف، واستحلال الدماء، واستباحة الأموال والأعراض، ودعوتهم إلى هدم الأوطان، يخادعون العامة بمعسول القول ورقيق الكلام، مردوا على نفاق المجتمع، واعتبروا ذلك تقية واجبة ولازمًا من لوازم المرحلة، مما يستوجب منا مزيدًا من الفطنة والحذر، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴾[سورة البقرة، الآيتان ٢٠٤- ٢٠٥]، ويقول نبينا ﷺ: "لاَ يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ".

الصحوة الحقيقية هي صحوة الأوطان والأمم، عندما نعمرها بالبناء والتعمير، ونرى أمتنا في مصاف الدول المتقدمة في مختلف المجالات والعلوم والفنون.

فمقياس الصحوة الحقيقي هو في مدى تقدم الدول علميًّا واقتصاديًّا، وامتلاكها أدوات العصر، وإسهامها في إنجازاته، فلن يحترم الناس ديننا ما لم نتفوق في أمور دنيانا، فإن تفوقنا في أمور دنيانا احترم الناس ديننا ودنيانا.

الصحوة الحقيقية أيضًا هي صحوة الضمير، والقيم والأخلاق، عندما نُعمر الدنيا بالتسامح، والتراحم، والتكافل، والصدق، والأمانة، والوفاء، ومكارم الأخلاق، وترجمة أخلاق الإسلام وقيمه وتعاليمه السمحة إلى واقع ملموس في دنيا الناس، في سلوكنا وسائر شئون حياتنا، فالأمم التي لا تبنى على القيم والأخلاق تحمل عوامل سقوطها في أصل بنائها وأساس قيامها.

الصحوة الحقيقية هي قوة انتماء الإنسان إلى وطنه، وحرصه على أمنه واستقراره، فالوطن عِرض وشرف، وهو أحد الكليات الست التي حرص الشرع الحنيف على إحاطتها بسياجات متعددة من الحفظ والرعاية.

كما أن العمل على تقوية شوكة الدولة الوطنية مطلب شرعي ووطني، فكل ما يؤدي إلى ذلك هو من صحيح معتقدنا، وكل ما يؤدي إلى الهدم والتخريب وتقويض بنيان الدول أو تعطيل مسيرتها، أو تدمير بِناها التحتية، أو ترويع الآمنين بها، لا علاقة له بالأديان، ولا بالقيم، ولا بالوطنية، ولا بالإنسانية.

مع تأكيدنا أن الدين الحقيقي النقي لا يحيا في الهواء الطلق، إذ لا بد له من دولة قوية تحمله وتحميه، ذلك أن المشردين لا يقيمون دينًا ولا دولة.

الدين والدولة لا يتناقضان أبدًا، الدين والدولة يتعاضدان في سبيل سعادة البشرية، فحيث تكون مصالح البلاد والعباد والأوطان المعتبرة فثمة شرع الله.

الدين والدولة يرسخان معًا أسس المواطنة المتكافئة في الحقوق والواجبات، وأن نعمل معًا لخير بلادنا وخير الناس أجمعين، أن نحب الخير لغيرنا كما نحبه لأنفسنا، الأديان رحمة، الأديان سماحة، الأديان إنسانية، الأديان عطاء.

الدين والدولة يتطلبان منا جميعًا التكافل المجتمعي، وأن لا يكون بيننا جائع ولا محروم ولا عارٍ ولا مشرد ولا محتاج ولا مكروب إلا سعينا في قضاء حاجته وتفريج كربه.

الدين والدولة يدفعان إلى العمل والإنتاج، والتميز والإتقان، ويطاردان البطالة والكسل، والإرهاب والإهمال، والفساد والإفساد، والتدمير والتخريب، وإثارة القلاقل والفتن، والعَمالة والخيانة.

وإن من يتوهمون صراعًا - لا يجب أن يكون - بين الدين والدولة ويرونه صراعًا محتمًا إما أنهم لا يفهمون الأديان فهمًا صحيحًا، أو لا يعون مفهوم الدولة وعيًا تامًا، أو لا يعون طبيعة العلاقة بينهما، فالخلل لا علاقة له بالدين الصحيح ولا بالدولة الرشيدة، إنما ينشأ الخلل من سوء الفهم لطبيعة الدين أو لطبيعة الدولة أو لطبيعة العلاقة بينهما.

غير أننا نؤكد على ضرورة احترام دستور الدولة وقوانينها، وإعلاء دولة القانون، وألا تنشأ في الدول سلطات موازية لسلطة الدولة أيًّا كان مصدر هذه السلطات، فهو لواء واحد تنضوي تحته وفي ظله كل الألوية الأخرى، وهو لواء الدولة الوطنية، أما أن تحمل كل مؤسسة أو جماعة أو جهة لواء موازيًا للواء الدولة فهذا خطر داهم لا يستقيم معه أمر الدين ولا أمر الدولة.

وختامًا: أؤكد أن كل التنظيمات المتطرفة ولا سيما المتدثرة منها بغطاء الدين هي خطر داهم على الدين

والدولـة، وأن الصحـوة الحقيقيـة تتطلـب منـا التفرقـة بوضـوح بـين الثابـت والمتغـير، والنظـر بعـين الاعتبـار في مسـتجدات العـصر ومتطلباتـه، ومراعـاة مـا يقتضيـه فقه الواقـع، وفقـه الأولويـات، وفقـه المتـاح في ضـوء الحفاظ عـلى ثوابـت الـشرع الحنيـف.

* * *

مقدمة كتابنا
"العقل والنص"

إن كثيرًا من الإشكاليات الفكرية نشأت عن غلبة مناهج الحفظ والتلقين على مناهج الفهم والمناقشة والتحليل، حيث تصدرت قضايا الأحكام الجزئية المناهج التعليمية والبحثية، على حساب الاهتمام بالقواعد الكلية - الفقهية والأصولية- ومناهج التفكير العقلي والمنطقي، مما جعلنا نؤكد ونلح في التناول والتأكيد على أنه لا غنى عن إعمال العقل في فهم صحيح النص وفي تطبيقاته، وفي إنزال الحكم الشرعي على مناطه من الواقع العملي، وأنه لا بد من إعادة قراءة النص في ضوء مستجدات العصر ومعطيات ومتطلبات ما يقتضيه فقه بناء الدول، فتناول القضايا الفقهية والشرعية يحتاج إلى تأهيل خاص وإعداد علمي وشرعي ولغوي مبكر يسهم في صنع وصقل موهبة الفقيه والمفتي، مما يتطلب التحصن بأدوات كثيرة، في مقدمتها:

دراسة العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم، إذ لا يمكن أن تُطلَق على إنسان صفة فقيهٍ أو مفتٍ وهو لا يعرف الناسخ من المنسوخ، ولا المطلق من المقيد، ولا المجمل من المفصَّل، ولا المحكم من المتشابه، ولا العلاقة بين اللفظ والسبب، أو العموم والخصوص، ودقائق وأسرار هذه المصطلحات.

كما ينبغي أن يكون الفقيه عالمًا بسُنَّة سيدنا رسول الله ﷺ ودرجة الحكم على الأحاديث ومراتبها، وما ينبغي أن يُقدَّم من الترجيح أو التوفيق عند تعارض ظواهر بعض ألفاظها، فكيف بمن لا يميز بين الثابت والمتغير، أو سُنن العبادات من أعمال العادات؟!.

وينبغي على الفقيه - أيضًا - الإلمام بأحوال عصره، وواقع الناس وعاداتهم وتقاليدهم، وقوانين الدول ودساتيرها، والمواثيق والعهود الدولية ومتطلباتها، ليكون قادرًا على إنزال الفتوى على مظانها وظروف عصرها لا على مظان وظروف عصور أخرى تغير بعدها الحال والزمان ودنيا الناس.

وينبغي أن يتسع أفقنا لفهم النصوص وإسقاطها على الواقع، فعندما نتحدث عن الصدق ونطلب من الأفراد

التحلي به فإننا نطلب - أيضًا - من الدول أن تتحلى به، فالدول الصادقة هي التي تفي بعهودها ومواثيقها والتزاماتها الدولية، أما الدول التي لا تفي بعهود ولا مواثيق، ولا تقيم شأنًا للقيم والأخلاق فمآلها السقوط والاندثار، يقول الشاعر:

فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا إنما الأمم الأخلاق ما بقيت

وعندما نتحدث عن حق الجوار فإننا يجب ألا ننسى حق الجوار الدولي، فكما أن الإنسان الشريف لا يؤذي جاره، ولا يسمح أن يُؤْذَى جاره من قبله، فكذلك الدول العظيمة تحترم حق الجوار، ولا تسمح بأن تؤتى جاراتها عبر حدودها، أو أن تكون هي طريقًا لتسرب المتطرفين إلى أي منها.

وعندما نتحدث عن آداب الاستئذان ينبغي أن ننظر إليه بصفة أعم من الاستئذان لدخول منزل شخص ما فحسب، فحرمة الدول كحرمة البيوت وأشد، وكما لا يجوز أن تَدْخُلَ بيت أحد إلا بإذنه، فإنه لا يجوز أن تدخل دولة دون الإذن القانوني المعتبر لدخولها.

وعندما نتحدث عن القصد في المشي حيث يقول الحق سبحانه: ﴿وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾[سورة لقمان، الآيه ١٩]، فإننا نعني القصد في المشي وعدم الاختيال مطلقًا، سواء أكان الإنسان ماشيًا على قدميه أم مستقلا دراجته أم راكبًا سيارته، بل إن الاختيال بالسيارة أشد جرمًا من الاختيال بالمشي على القدمين؛ لما في الثاني من كسر نفوس الفقراء، وأسوأ من ذلك أن يصل الاستعلاء بالنفس إلى تجاوز قواعد السير وقوانين المرور التي تنظم عملية السير في الطريق حفاظًا على الأنفس والأموال وسلاسة الحركة.

فالغاية والمقصد إنما هو النهي عن التكبر على خلق الله والاستعلاء عليهم بأي نوع من أنواع الاستعلاء، والمشي في الآية هنا ليس مقصودًا به المشي على القدمين فقط، وإنما المقصود به النهي عن مطلق الاختيال والعجب والغرور بالنفس، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ٣٧ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهٗا﴾ [سورة الإسراء، الآيتان ٣٧-٣٨].

وهكذا نُعمل العقل في فهم مقاصد النص بما ييسر للناس أمور حياتهم، وتنصلح به أحوال معاشهم ومعادهم معًا؛ للحفاظ على ثوابت الشرع الحنيف وعدم المساس بها، والتفرقة بوضوح بين المقدس وغير المقدس، وبين الثابت والمتغير، فإنزال الثابت منزلة المتغير هدم للثوابت، وإنزال المتغير منزلة الثابت عين الجمود والتحجر والتخلف عن ركب الحضارة والإنسانية.

ونعرض في هذا الكتاب عددًا من الموضوعات والقضايا المهمة مثل: الضيق والسعة بين العلماء والجهلاء، والبصيرة في الدعوة والفتوى، وحق الجوار الدولي، وصناعة الوعي، وأسباب رفع البلاء، وأبجديات الحوار، وغيرها.

* * *

مقدمة كتابنا

"فقه الدولة وفقه الجماعة"

شتان بين فقه الدول، والوعي بالتحديات التي تواجهها، وسُبل الحفاظ عليها، وحتمية ومشروعية الدفاع عنها، والذود عن حياضها، والتضحية في سبيلها، وبين نفعية الجماعة القائمة في الغالب الأعم على محاولات إضعاف الدولة، قصد الإيقاع بنظامها وإحلال الجماعة محله، حتى لو أدى ذلك إلى إسقاط الدولة أو محوها من خارطة العالم بتفكيكها إلى كيانات صغيرة لا تنفع ولا تضر، أو حتى بشطبها نهائيًّا من عالم الوجود كدولة بتمزيق أوصالها وابتلاع دول أو قوى أخرى لها.

وتنظر الجماعات المتطرفة إلى كل ما يقوي الدولة على أنه في غير صالحها، وإلى كل ما يضعف الدولة على أنه يصب بالطبع في مصلحتها ويقرب أمانيها، إذ لا يمكن لأي جماعة من الجماعات المتطرفة أن تقفز على السلطة أو تجهز عليها إلا

في الدول الضعيفة المنهارة المفككة المترهلة، فهذه الجماعات تعمل وفق استراتيجية ممنهجة تهدف إلى إحداث نوع من القطيعة بين الشعوب وحكامها، أو قل: إنها تعمل جاهدة على شيطنة أي نظام حاكم حتى لو كان على طريق سيدنا عمر بن الخطاب نفسه، وتزعم أنها حامية حمى الدين، محرفة الكلم عن مواضعه، لاوية أعناق النصوص، وهو ما حذرنا منه نبينا ﷺ ودعانا إلى مواجهته وبيان زيغه وزيفه، فقال ﷺ: «يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ» (رواه البيهقي).

على أن الشرع الحنيف قد حثنا على إكرام الحاكم العادل، والوقوف إلى جانبه، وإعانته، والالتفاف حوله، يقول نبينا ﷺ: «إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ الله: إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ» (سُنن أبي داود).

غير أن هذه الجماعات المتطرفة - إضافة إلى تحريفها الكلم عن مواضعه - قد أصيبت أفكار وعقول أكثر قياداتها

بالشطط أو الجمود والتحجر، ناهيك عما أصاب عناصرها والمنتمين إليها من ضيق الأفق والجمود عند ظواهر بعض النصوص، بل عند أقوال بعض المتقدمين من العلماء أو الفقهاء أو حتى الآراء والأقوال غير المدققة، منزلين هذه الأقوال منزلة النص المقدس، فهم ينزلون المستجدات والمتغيرات القابلة للاجتهاد والرأي والرأي الآخر منزلة الثابت المقدس، ويرون ذلك الدين الخالص والمعدن النقي الصافي، في جهالة وضلالة عمياوين، ولا سيما أن لهم رءوسًا جهالًا يتكسبون بجهلهم وجمودهم ويدافعون عنه دفاعًا مستميتًا، وهذا ما نبهنا إليه نبينا ﷺ بقوله: «إِنَّ اللهَ لا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعُلَمَاءَ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالا، فَسُئِلُوا، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا» (رواه البخاري).

لقد جر ظهور جماعات التطرف الديني على منطقتنا العربية وعلى كثير من الدول الإسلامية ويلاتٍ كثيرة، وبخاصة بعد أن بدت ظاهرة التكسب بالدين أو المتاجرة به واضحة لدى كثير من الحركات والجماعات التي عملت على

توظيف الدين لتشويه خصومها من جهة، وتحقيق مطامعها السلطوية من جهة أخرى، فصارت محاربة الإسلام تهمة الجماعات المتطرفة لكل خصومها السياسيين.

ناهيك عن تجاوز ذلك إلى تهم التخوين والتكفير والإخراج من جماعة المسلمين، بل الحكم على المخالفين بأن أحدًا منهم لن يجد رائحة الجنة، مع استباحة دمائهم وأموالهم وسبي نسائهم، وبدا خلط الأوراق واضحًا جليًّا عن عمد لا عن غفلة لدى أكثر هذه الجماعات، بل إن الأمر قد ذهب إلى أبعد من هذا عندما نصّبت هذه الأحزاب والحركات والجماعات نفسها وصيًّا على الدين، مع فقدان كوادرها للتفقه الصحيح فيه، أو حتى مجرد الإلمام بأصوله وأحكامه، وخروج بعضهم علينا بفتاوٍ ما أنزل الله بها من سلطان، اللهم إلا سلطان النفعية والهوى والسلطة وحب الظهور أحيانًا.

لقد أعطى هؤلاء المتسترون بالإسلام المنتسبون زورًا إليه الذرائع أكثر من مرة لأعداء الأمة للتدخل في شئونها تحت ذرائع متعددة، المعلن منها مواجهة الإرهاب، وغير

المعلن هو إضعاف دولنا أو تفتيتها أو تفكيكها أو السيطرة على مقدراتها الاقتصادية أو الجغرافية أو القرار السياسي أو الوطني فيها، ثم خرجت من عباءة هذه الجماعات والحركات والأحزاب جماعات بائسة يائسة أخذت تتبنى العنف والإرهاب والتكفير والتفجير والعمليات الانتحارية مسلكًا ومنهجًا، ووجدت بعض قوى الاستعباد المسمى الاستعمار الجديد في هذه الجماعات اليائسة من التكفيريين والانتحاريين ضالتها، فتعهدتها ونمتها وغذتها وأمدتها بالمال والسلاح، لتحقيق مآربها في تفتيت كيان المنطقة العربية والاستيلاء على خيراتها ومقدراتها من جهة، وتشويه صورة الإسلام وربطه بالإرهاب من جهة أخرى.

فبعد أن كان المسلمون هم رسل السلام إلى العالم أخذت صورتهم تُسوّق على أنها رديف الإرهاب والقتل والدمار، وتنامت ظاهرة "الإسلاموفوبيا"، والتقطتها جهات ومؤسسات حاقدة على الإسلام والمسلمين فغذتها ونمتها، وكلما خمدت نارها نفخوا في رمادها لتظل مشتعلة سيفًا مسلطًا على رقابنا.

ولا يمكن لعاقل أو وطني أو فاهم لدينه فهمًا صحيحًا أن ينكر أن حصاد دعوة هذه الجماعات المتطرفة المتدثرة ظلمًا وزورًا وزيفًا بعباءة الدين كان حصادًا مرًّا شديدَ المرارة، فقد زرعوا أشواكًا، فجَنَينا حنظلًا وعلقمًا، وصار لزامًا علينا بذل أقصى الجهد لإصلاح ما أفسدته هذه الجماعات الضالة المارقة.

كما صار لزامًا وواجبًا متعينًا على أهل العلم المتخصصين الفاهمين الواعين الوطنيين أن يضاعفوا الجهد، لنفي انتحال المبطلين، وتحريف الغالين، وتأويل الجاهلين، لا تأخذهم في ذلك لومة لائم.

وقد اجتهدت أن أصحح في ثنايا هذا الكتاب - فقه الدولة وفقه الجماعة - كثيرًا من المفاهيم الخاطئة حول بناء الدولة، وأن ألقي الضوء على أهمية الحفاظ عليها، مبينًا ومؤكدًا أن مصالح الأوطان لا تنفك عن مقاصد الأديان، محذرًا من الكيانات الموازية داخل الدول التي تنازع الدولة سلطاتها والمؤسسات اختصاصاتها، مفرقًا بين التعددية السياسية المطلوبة والكيانات الموازية الخطرة، كما فرقت

بين المصلحة في منظور الدولة وفوضى الجماعة، ونبهت إلى خطورة السقوط الاقتصادي للدول، وإلى ضرورة اهتمام الدول بحدودها، وبوحدتها الوطنية وتحقيق المواطنة المتكافئة بين أبنائها دون تمييز على أساس الدين أو اللون أو الجنس أو العرق.

* * *

تقديمنا لكتاب
"قواعد الفقه الكلية"(*)

لقد غلبت لعقود طويلة وربما لقرون عديدة قضايا التقليد على قضايا الإبداع والتجديد، وغلبت مناهج الحفظ والتلقين، وطغت على مناهج الفهم والتفكير، مما نتج عنه تقديس أو ما يشبه التقديس لغير المقدس من الآراء والأفكار والشروح المتعلقة بالأحكام الجزئية والفتاوى القابلة للتغير بتغير الزمان أو المكان أو أحوال الناس وأعرافهم وعاداتهم وواقع حياتهم مما لم يرد فيه نص قاطع ثبوتًا ودلالة، فما كان راجحًا في عصر معين أو بيئة معينة أو حالة أو أحوال معينة قد يصبح مرجوحًا إذا تغير من ظروف العصر أو المكان أو

(*) هذا الكتاب شارك في إعداده كلٌّ من: أ.د/ شوقي علام مفتي الجمهورية، وأ.د/ محمد عبد الستار الجبالي رئيس قسم الفقه بكلية الدراسات العُليا، وأ.د/ محمد سالم أبو عاصي الأستاذ بكلية أصول الدين، وأ.د/ رمضان محمد عيد هتيمي عميد كلية الشريعة والقانون الأسبق بجامعة الأزهر، ود/ هاني سيد تمام أستاذ الفقه المساعد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة، ود/ ياسر أحمد مرسي أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد بكلية أصول الدين بالقاهرة، مع مشاركتنا وتقديمنا له.

الحال ما يستدعي إعادة النظر في الحكم أو الفتوى، وقد يصبح الرأي المُفْتَى به غيره أولى منه في الإفتاء به نتيجة لتغير هذه المعطيات.

وقد أدى الاعتماد على حفظ بعض الأحكام الفقهية الجزئية مع ضعف الاهتمام بالقواعد الكلية، وفقه المقاصد، وفقه الأولويات، وأصول الاستنباط، إلى حالة من التعصب الشديد لدى بعض المقلدين من جهة، وضيق الأفق والجمود والتحجر عند الرأي المحفوظ لدى بعضهم من جهة أخرى، إضافة إلى أن حصر الجزئيات والإحاطة بها أمر شبه مستحيل إن لم يكن مستحيلًا، ناهيك عن مستجدات الأمور ومستحدثاتها، لذا يجب أن نعود وبقوة إلى ما يرسخ مناهج الفهم والتفكير وإعمال العقل من خلال دراسة علم أصول الفقه، وقواعد الفقه الكلية، وفقه المقاصد، وفقه الأولويات، وفقه الواقع، مؤكدين أن الأحكام الفقهية الجزئية المستنبطة من خلال اجتهاد المجتهدين في قراءة النصوص في ضوء القواعد الكلية والأصولية وفهم مقاصد النصوص ومراميها ليست قرآنًا، وأن بعضها قابل للتغيير وفق مقتضيات الزمان والمكان والأحوال والأشخاص، وقابل للرأي والرأي الآخر، فالأقوال الراجحة ليست

معصومة، والأقوال المرجوحة ليست مهدومة، طالما أن القائل بها من أهل الاختصاص والاجتهاد والنظر في ضوء الدليل الشرعي المعتبر والمقاصد العامة للشريعة، وهو ما أكده علماؤنا الأوائل، يقول الإمام الشاطبي ﷺ: إن الأصل في العادات الالتفات إلى المعاني، وبالاستقراء وجدنا الشارع قاصدًا لمصالح العباد، والأحكام العادية تدور عليها حيثما دارت، فترى الشيء الواحد يُمنَع في حال لا تكون فيه مصلحة، فإذا كان فيه مصلحة جاز.

ويقرر الإمام القرافي ﷺ: أن إجراءَ الأحكام التي مُدْرَكُها العوائدُ مع تغيُّرِ تلك العوائد خلافُ الإجماع وجهالةٌ في الدّين، ويقول: بل لو خرجنا نحن من ذلك البلد إلى بلَدٍ آخر عوائدُهم على خلافِ عادةِ البلد الذي كنا فيه أفتيناهم بعادةِ بلدهم، ولم نعتبر عادةَ البلد الذي كنا فيه، وكذلك إذا قَدِمَ علينا أحدٌ من بلدٍ عادَتُه مُضَادَّةٌ للبلد الذي نحن فيه لم نُفتِه إلَّا بعادةِ بلدِه دون عادةِ بلدنا.

ويقول ابن القيم ﷺ: ومن أفتى الناس بمجرد المنقول في الكتب على اختلاف عرفهم وعوائدهم وأزمنتهم وأمكنتهم وأحوالهم وقرائن أحوالهم فقد ضلَّ وأضل.

ويقول ابن عابدين ﷺ: إن المسائل الفقهية إما أن تكون ثابتة بصريح النص وإما أن تكون ثابتة بضرب من الاجتهاد والرأي، وكثير منها يبنيه المجتهد على ما كان في عرف زمانه بحيث لو كان في زمان العرف الحادث لقال بخلاف ما قاله أولًا، ولهذا قالوا في شروط الاجتهاد: إنه لا بد من معرفة عادات الناس، فكثير من الأحكام تختلف باختلاف الزمان لتغير عرف أهله.

ومن ثمة علينا أن نفرق بين الثابت والمتغير، وبين ما هو من شئون العقائد والمعاملات، وما هو من شئون نظام الدولة، فإن تنزيل أي منها منزلة الآخر خلل في الفهم وضرب من الجهل، كما يجب أن نفرق بين ما هو من شئون الأفراد، وما هو من شئون الدول، ومن له الحق في الفتوى أو التصرف فيما يتصل بشئون الدول، ولهذا أكدنا أن إعلان التعبئة العامة للدفاع عن حدود الدولة وكيانها المعبر عنه في كتب التراث بإعلان الجهاد هو من اختصاص ولي الأمر، وليس من اختصاص آحاد الناس أو جماعة منهم، كما أكدنا أيضًا أنه ليس لآحاد الناس أو عامتهم الحكم على أحد بالكفر أو الخروج من الملة، وإنما يثبت ذلك بحكم

قضائي نهائي وبات، لخطورة ما يترتب على الحكم بالتكفير والإخراج من الدين، وللعلماء بيان ما يترتب على الفعل لا الحكم على الأشخاص، مما يتطلب التفرقة بين تكفير غيرِ المعين وتكفير المعين، فالأول الأمر فيه للعلماء، والآخر الحكم فيه للقضاء.

وعلينا أن ندرك أن رأي الحاكم "المتمثل في الدستور والقانون" يحسم الخلاف في الأمور المتغيرة التي تحتمل الرأي والرأي الآخر في ضوء تحقيق المصلحة المعتبرة شرعًا.

كما أن علينا أن نعمل على نشر ثقافة التفكير في سائر جوانب الحياة الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، والخروج من دائرة القوالب الجاهزة والأنماط الجامدة إلى رؤية تتسم بالفكر وإعمال العقل، وأن نعمل على تحريك هذا الجمود من خلال العمل على نشر ثقافة التفكير وإعمال العقل ومراعاة مقتضيات الواقع، غير أن هناك من يعتبر مجرد التفكير في التجديد خروجًا على الثوابت وهدمًا لها، حتى وإن لم يكن للأمر المجتهَد فيه أدنى صلة بالثوابت، أو بما هو معلوم من الدين بالضرورة وما هو قطعي الثبوت

قطعي الدلالة، فقد تبنى منهج الجمود والتكفير والإخراج من الدين أناس لا علم لهم ولا فقه، ولا هم من أهل العلم أو أهل الاختصاص أو حتى دارسي العلوم الشرعية من مظانها المعتبرة، مسرعين في رمي المجتمع بالتبديع، ثم التجهيل، فالتكفير، حتى وصل الأمر بغلاتهم إلى التفجير واستباحة الدماء؛ مما يتطلب حركة سريعة وقوية وغير هيّابة لمواجهة الجمود والفكر المتطرف معًا؛ حتى نخلص المجتمع والإنسانية من خطر الجهل الشرعي والتطرف الفكري وما قد يتبع ذلك من تبني الإرهاب منهجًا وسلوكًا.

على أننا نؤكد أنه لا يكفي لمن يتصدى لقضايا التجديد أن يكون مُلـمًّا ببعض القواعد دون بعض، ولا أن يكون مجرد حافظ للقواعد غير فاهم لمعانيها ولا مدرك لدقائقها، فلا يقف عند قولهم: "الضرر يزال"، دون أن يدرك أن الضرر لا يزال بضرر مثله أو أكبر منه، وأن الضرر الخاص يُتحمل لدفع الضرر العام، ولا يقف عند حدود قولهم: "درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة"، دون أن يدرك أن درء المفسدة اليسيرة لا يدفع بتضييع المصلحة الكبيرة، وأنه إذا تعارضت مفسدتان دُفعت الأشد بالأخف، بل عليه أن يسبر أغوار هذه القواعد بما يمكنه من الحكم الدقيق على الأمور.

ومن ثمة كان إعدادنا لهذا الكتاب في ضوء خطة متكاملة لقراءة عصرية لتراثنا العلمي والفقهي تراعي ظروف الواقع ومستجداته، مؤملين أن يسهم مع كتابيّ: "الفهم المقاصدي للسُّنَّة النبوية"، و "الكليات الست" وما صدر عن وزارة الأوقاف المصرية من إصدارات عصرية في تشكيل الوعي المستنير الذي نسعى إلى تحقيقه وتحويله إلى حالة استنارة عامة وواسعة في إطار خطتنا المتكاملة لتجديد الخطاب الديني، مؤكدين أننا لن نتوقف بإذن الله تعالى عن مواصلة مسيرة التجديد ما دام فينا نفس نتنفسه تجديدًا منضبطًا وقراءة واعية للنصوص وللواقع معًا خدمة لديننا ووطننا، وعملًا على خلق حالة وعي ديني وسطي مستنير، وتصحيح ما شوهته الجماعات المتطرفة والمتشددة وأصحاب الأفهام السقيمة والجامدة من بعض جوانب الصفحة النقية لديننا السمح العظيم الذي جاء رحمة للعالمين، حيث يقول الحق سبحانه مخاطبًا نبينا ﷺ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[سورة الأنبياء، الآية ١٠٧].

* * *

تقديمنا لكتاب
"فقه بناء الدول"(*)

قوةُ الدولة قوةٌ لجميع أبنائها، وقوةٌ للدين، وقوةٌ للوطن، وقوةٌ للأمة، وقد قالوا: رجل فقير في دولة غنية قوية خير من رجل غني في دولة فقيرة ضعيفة؛ لأن الأول له دولة تحمله وتحميه في الداخل والخارج، والآخر لا ظهر له.

ومن ثمة كان بناء الدولة وتقويةُ مؤسساتها مطلبًا شرعيًّا ووطنيًّا وحياتيًّا لجميع أبنائها، وبقدر إيمان كل منهم بحق الوطن، وقوة انتمائه إليه، وعطائه له، واستعداده للتضحية في سبيله، تكون قوةُ الوطن، وبقدر اختلال هذا الانتماء أو ضعف ذلك العطاء، والنكوص عن التضحية بالنفس أو بالمال في سبيل الوطن، يكون ضعف الدول أو سقوطها أو

(*) هذا الكتاب شارك في إعداده كلٌّ من : أ.د/ عبد الله مبروك النجار عضو مجمع البحوث الإسلامية ، وأ.د/ سيف رجب قزامل عميد كلية الشريعة والقانون بطنطا الأسبق ، وأ.د/ إبراهيم صلاح الهدهد عضو مجمع البحوث الإسلامية ، وأ.د/ محمد سالم أبو عاصي عميد كلية الدراسات العُليا بجامعة الأزهر الأسبق.

تمزقها، كما أن الوقوف بقوة خلف الحاكم العادل مطلب شرعي ووطني لا يستقر أمر الدول إلا به.

على أن مسألة بناء الدول ليست أمرًا سهلًا أو هينًا، إنما هي عملية شاقة شديدة التعقيد، تحتاج إلى خبرات تراكمية كبيرة، وإرادة صُلبة، وعمل دءوب، ورؤية ثاقبةٍ في مختلف المجالات والاتجاهات التي تعزز قوة الدولة وتحافظ على أمنها واستقرارها، مع القدرة على قراءة الواقع وفهم تحدياته وفك شفراته وحل طلاسمه، والتعامل معه على أسس علمية ومنطقية في ضوء تلكم الخبرات المتراكمة.

مع تأكيدنا أن الأمم والدول لا تبنى بغير العلم والعمل الجاد، والجهد والعرق، فالأمم التي لا تنتج مقوماتها الأساسية، وتكون عالة على غيرها لا تملك كلمتها ولا استقلال قرارها.

وإلى جانب العلم والعمل لا بد من الولاء والانتماء إلى الوطن، وإيثار مصالحه العامة على المصالح الخاصة والشخصية، وإدراك أن مصالح الأوطان من صميم مقاصد الأديان، وأن كل ما ينال من قوة الدولة أو كيانها

يتنافى مع كل الأديان والقيم الوطنية والإنسانية، فالتضحية في سبيل الوطن والشهادة في سبيله من أعلى درجات الشهادة في سبيل الله ﷻ.

كما أنه لا بقاء لأمة أو حضارة بلا قيم ولا أخلاق، فالأمم التي لا تقوم ولا تبنى على القيم والأخلاق تحمل عوامل سقوطها في أصل بنائها وأسس قيامها، ومصيرها إلى الزوال والاندثار.

وعلينا أن نفرق بوضوح بين فقه الدول، والوعي بالتحديات التي تواجهها، وسُبل الحفاظ عليها، ومشروعية الدفاع عنها، وبين نفعية الجماعات المتطرفة التي تعمل على إضعاف الدول، قصد الإيقاع بنظامها وإحلال الجماعة محله، حتى لو أدى ذلك إلى إسقاط الدولة أو محوها من خارطة العالم، بتفكيكها إلى كيانات صغيرة لا تنفع ولا تضر، أو حتى بشطبها نهائيًّا من عالم الوجود كدولة، بتمزيق أوصالها وتذويبها في أمم أخرى أو ثقافات أخرى، فهذه الجماعات لا تقوم إلا على أنقاض الدول، ومصلحة الجماعة عندهم فوق مصلحة الدولة، ومصلحة التنظيم فوق مصلحة الأمة، بل فوق كل المصالح المعتبرة.

إن محاولة الجماعات الإرهابية إعادة تمركز عناصرها في نحو اثنتين وخمسين دولة لإعادة بناء صفوفها والانقضاض على ما تستطيع من الدول حال ضعفها يتطلب منا العمل الجاد والمواجهة الشاملة لتفنيد أباطيلها وأغاليطها المنحرفة المدمرة للأوطان والدول، فهذه الجماعات أدوات مستخدمة لصالح أعداء ديننا وأمتنا العربية والإسلامية.

ونؤكد أن فقدان الوطن يعني: فقدان الذات، وفقدان الهوية، وفقدان الدفء، وفقدان الأمان، وضياع الوطن يعني: ضياع كل شيء، يعني الهوان، والشتات، والغربة، والحسرة على مرابع الصبا، ويعني بالضرورة فقدان كثير من الأهل والأحبة ورفقاء الدرب والعمر.

وقد قالوا: إذا أردت أن تعرف وفاء الرجل لوطنه فانظر إلى مدى ولائه له وحنينه إليه، فمن لا خير فيه لوطنه فلا خير فيه أصلًا.

وقد ذكر لنا التاريخ البشري على اختلاف دوله وعصوره نماذج مأساوية لفقدان الوطن، وما تعرض له فاقدوه من

ذل وهوان، حيث يقول أبو البقاء الرُّنْدِي في وصف ما حل ببعض ملوك الطوائف نتيجة فقدان الوطن:

واليوم هم في بلاد الشر عبدان بالأمس كانوا ملوكًا في منازلهم

مع استماحة أبي البقاء عذرًا لما أجريته من تعديل في بيته.

وباستقراء التاريخ نجد أنه لم تسقط دولة من الدول إلا كانت الخيانة والعمالة أحد أهم أسباب سقوطها وتشرذمها، مما يقتضي التنبه لخطورة الخونة، والعملاء، والمأجورين، ويتطلب أن يكون صوت الدولة عاليًا وقويًّا، وسيفها مصلتًا على رقاب كل الخونة والعملاء، ومن يدعمهم، أو يأويهم، أو يتستر عليهم؛ لأنهم خطر داهم على الدين والدولة.

نحن لا نخترع دينًا جديدًا ولن يكون، ولن نسمح بالمساس بثوابت ديننا ولن يكون، إنما نبحث عن الفهم الصحيح للدين بتقويم ما اعوجّ من الأفهام، وتصحيح ما انحرف من مسارات الفهم عن عمد أو جهل، ومهمتنا نفي انتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، وتحريف الغالين، والمتاجرين بالدين، وقطع دابر التطرف

الفكري وسد منافذه، وعدم السماح باكتساب المتطرفين أرضًا جديدة، بل العمل على محاصرته والقضاء على تطرفهم حيث كانوا.

وهذا يتطلب أن نكون على يقظة تامة، وألا نغفل عن قضيتنا أو تغفو أعيننا عنها، فقد حذرنا القرآن الكريم من اغتنام الأعداء للحظات غفلتنا، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ تَغۡفُلُونَ عَنۡ أَسۡلِحَتِكُمۡ وَأَمۡتِعَتِكُمۡ فَيَمِيلُونَ عَلَيۡكُم مَّيۡلَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ [سورة النساء، الآية ١٠٢]، ولا شك أن العلم والفكر والثقافة أحد أهم أسلحتنا في مواجهة التطرف والإرهاب، وهو ما يتطلب منا جهودًا مضنية لتصويب ما حرفته الجماعات المتطرفة من مفاهيم الخطاب الديني السمح الرشيد.

إن الحرب ضروس، وقد كشرت لنا عن أنيابها، فيجب ألا نتأخر حتى لا تكون عظتُنا بأنفسنا، فالعاقل من وعظ بغيره، والشقي من وعظ بنفسه، وحتى لا تكون نتيجة تأخرنا ما قاله الشاعر العربي:

فلم يستبينوا النصح إلا ضحى غد ولقد نصحتهم بمنعرج اللوى

وفي هذا الكتاب نخبة من البحوث المختارة من أعمال المؤتمر الدولي الثلاثين الذي عقده المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة، يومي ١٥، ٢٠١٩/٩/١٦م تحت عنوان: "فقه بناء الدول .. رؤية عصرية"، مع توصيات المؤتمر، ووثيقة القاهرة للمواطنة الصادرة عنه.

* * *

تقديمنا لكتاب
"تنظيم النسل ومتغيرات العصر"(*)

إذا كنا نؤمن إيمانًا حقيقيًّا بدور العلم وأهميته، ودور التخطيط والدراسات المستقبلية في مجال التنمية، فإننا لا يمكن أن نطلق أحكامًا غير مبنية على العلم والدراسة المتخصصة.

ونؤكد أن تصحيح المفاهيم الخاطئة فيما يتصل بالقضايا السكانية يدخل في صميم تجديد وتصويب الخطاب الديني وتصحيح مساره، وهذا نبينا ﷺ يقول: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ» (متفق عليه)، فاشترط ﷺ الباءة التي تشمل القدرة على الإنفاق كشرط للزواج، ومن باب أولى فهي شرط للإنجاب، فما

(*) الكتاب من تأليف: أ.د/ عبد الله مبروك النجار عضو مجمع البحوث الإسلامية.

بالكم بالإنجاب المتعدد؟! ألم يقل النبي ﷺ: «كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يقوت»، وفي رواية «كَفي بِالمرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَعُولُ»، ولا شك أن قوله ﷺ: «وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ» قد بيّن بيانًا لا لبس فيه أن الاستطاعة هنا ليست الاستطاعة البدنية فحسب.

ولطالما أكدنا أن الكثرة إما أن تكون كثرة صالحة قوية منتجة متقدمة يمكن أن نباهي بها الأمم في الدنيا، وأن يباهي نبينا ﷺ بها الأمم يوم القيامة، فتكون كثرة نافعة مطلوبة، وإما أن تكون كثرة كغثاء السيل، عالة على غيرها، جاهلة، متخلفة، في ذيل الأمم، فهي والعدم سواء.

كما نؤكد أن القدرة ليست هي القدرة المادية فقط إنما هي القدرة بمفهومها الشامل بدنيًّا وماديًّا وتربويًّا وقدرة على إدارة شئون الأسرة، وكل ما يشمل جوانب العناية بها والرعاية لها.

وليست القدرة الفردية وحدها مناط الأمر، بل الأمر يتجاوز قدرات الأفراد إلى إمكانات الدول في توفير الخدمات التي لا يمكن أن يوفرها آحاد الأفراد بأنفسهم

لأنفسهم، ومن هنا كان حال وإمكانات الدول أحد أهم العوامل التي يجب أن توضع في الحسبان في كل جوانب العملية السكانية، فما استحق أن يولد من عاش لنفسه.

على أن تناولنا للقضية يجب ألا يقتصر فقط على الجوانب الاقتصادية إنما يجب أن يبرز إلى جانب هذه الآثار الاقتصادية كل الآثار الصحية والنفسية والأسرية والمجتمعية التي يمكن أن تنعكس على حياة الأطفال والأبوين والأسرة كلها، ثم المجتمع، والدولة، فالزيادة السكانية غير المنضبطة لا ينعكس أثرها على الفرد أو الأسرة فحسب، إنما قد تشكل ضررًا بالغًا للدول التي لا تأخذ بأسباب العلم في معالجة قضاياها السكانية.

مع تأكيدنا على عدة أمور:

١ – أن قضية تنظيم النسل والمشكلات السكانية هي من المتغيرات التي يختلف الحكم فيها من زمان إلى زمان، ومن مكان إلى مكان، ومن دولة إلى أخرى، بحيث لا يستطيع أي عالم أن يعطي فيها حكمًا قاطعًا أو عامًّا.

ففي الوقت الذي تحتاج فيه بعض الدول إلى أيدٍ عاملة ولديها من فرص العمل ومن المقومات والإمكانات ما

يتطلب زيادة الأيدي العاملة لديها يكون الإنجاب مطلبًا، وتكون الكثرة سبيلًا من سُبل تقدم هذا البلد، أما الدول التي لا تمكنها ظروفها من توفير المقومات المطلوبة من الصحة، والتعليم، والبُنى التحتية، وفرص العمل اللازمة في حالة الكثرة غير المنضبطة تصبح الكثرة هنا كغثاء السيل، وإن أي عاقل ليدرك أنه إذا تعارض الكيف والكم كانت العبرة والمباهاة الحقيقية بالكيف لا بالكم.

٢- أن المتأمل في الشريعة الإسلامية يجد أنها أولت إعداد الإنسان عناية خاصة، بداية من تكوين الأسرة، مرورًا بمراحل الحمل، والولادة، والرضاعة، فكفلت له حقه في الرضاعة الطبيعية حولين كاملين؛ حتى ينمو في صحة جيدة، حيث يقول تعالى: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [سورة الأحقاف، الآية ١٥]، ويقول سبحانه: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٣٣]، وقد عدَّ الفقهاء إيقاع الحمل مع الإرضاع جورًا على حق الرضيع والجنين، وسمّوا لبن الأم التي تجمع بين الحمل والإرضاع لبن الغيلة، وكأن كلًّا من الطفلين قد اقتطع جزءًا من حق أخيه، مما قد يعرض أحدهما، أو يعرضهما معًا للضعف.

٣- أن قضية تنظيم النسل لون من ألوان وفاء الوالدين بحقوق أبنائهم، فكل رب أسرة مسئول عن أبنائه في التربية القويمة، والتعليم الصحيح، والتنشئة السوية؛ ليكون عضوًا نافعًا لدينه ووطنه، يقول سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ: أَدِّبِ ابْنَكَ، فَإِنَّكَ مَسْئُولٌ عَنْ وَلَدِكَ، مَا عَلَّمْتَهُ؟.

ولا شك أن الأمم التي تحسن تعليم أبنائها، وإعدادهم، وتأهيلهم أمم تتقدم وترتقي، فالعبرة ليست بالكثرة العددية؛ وإنما بالصلاح والنفع، فإن القلة التي يرجى خيرها وبركتها خير من الكثرة التي لا خير فيها، وهذا ما أكده القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[سورة البقرة، الآية ٢٤٩].

٤- أن الأنبياء عليهم السلام عندما طلبوا الولد إنما طلبوا الولد الصالح لا مطلق الولد، فهذا نبي الله إبراهيم عليه السلام يقول: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [سورة الصافات، الآية ١٠٠]، وهذا سيدنا زكريا عليه السلام يقول: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ

ٱلدُّعَآءِ ﴾ [سورة آل عمران: من الآية ٣٨]، ويقول أيضًا: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ [سورة مريم: من الآية ٥]، وأهل العلم لهم هنا وقفة، يقولون: إن سيدنا زكريا عليه السلام لم يطلب الولد لأجل مصلحة دنيوية بل طلبه لأجل الدِّين، فقال كما حكى عنه القرآن الكريم: ﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [سورة مريم، الآية ٦]، أي: يرث العلم والحكمة والنبوة والدعوة إلى الله تعالى، ولم يقل عند طلبه (أولياء) بالجمع، وإنما طلب وليًّا، فليست العبرة بالكثرة وإنما بالصلاح، يقول أحد الحكماء: والصلاح هنا مطلق شامل لكل ما فيه صلاح أمر الدنيا والآخرة، وليس الصلاح المطلوب في الولد صلاحًا قاصرًا على جانب دون جانب، إنما مطلق الصلاح الشامل الذي يعبر عنه حديث النبي ﷺ: "المُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إلى الله مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ" والقوة هنا عامة، تعني المؤمن القوي بدنيًّا وصحيًّا وعلميًّا وثقافيًّا واقتصاديًّا، فلن يحترم الناس ديننا ما لم نتفوق في أمر دنيانا، فإن تفوقنا في أمور دنيانا احترم الناس ديننا ودنيانا.

وفي هذا الكتاب الذي نقدمه – تنظيم النسل ومتغيرات العصر – يتناول فضيلة الأستاذ الدكتور/ عبد الله النجار الجوانب العلمية والفقهية لتنظيم النسل تناولًا علميًّا دقيقًا ومتميزًا، نسأل الله العلي العظيم أن يرزقنا حسن الفهم لديننا، والسداد في القول والعمل.

* * *

تقديمنا لكتاب
"نعمة الماء.. نحو استخدام رشيد للمياه"(*)

لا شك أن قضية المياه إحدى أهم التحديات المعاصرة، وأن التحولات المناخية قد تزيد الأمور تعقيدًا في كثير من مناطق العالم، مما يتطلب وعيًا وطنيًّا وإقليميًّا ودوليًّا بقضايا المياه، وحتى في حالة الوفرة المائية فالحفاظ على الماء وترشيد استخدامه أمر مطلوب، فعندما مرَّ النبي ﷺ بِسَيدنا سعْد بن أبي وقاص رضي الله عنه وَهُوَ يَتَوَضَّأُ، قَالَ: (مَا هَذَا السَّرَفُ يَا سَعْدُ ؟)، قَالَ سعد: وَفِي الْوُضُوءِ إِسْرَافٌ؟ فقَالَ ﷺ: (نَعَمْ وَإِنْ كُنْتَ عَلَى نَهَرٍ جَارٍ) (رواه أحمد)، كما أننا نجد بعض الدول رغم الوفرة المائية الشديدة لديها تطبق الترشيد بقوة،

(*) هذا الكتاب شارك في إعداده كلٌّ من: أ.د/ محمد سالم أبو عاصي الأستاذ بكلية أصول الدين وعميد كلية الدراسات العُليا الأسبق، ود/ هاني سيد تمام أستاذ الفقه المساعد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة، ود/ ياسر أحمد مرسي أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد بكلية أصول الدين بالقاهرة، ود/ أيمن علي أبو عمر وكيل وزارة الأوقاف لشئون الدعوة.

وفي أعلى درجاته، حتى يصير الترشيد ثقافة مجتمع، وثقافة شعب، وثقافة أمة، وهذا هو منهج ديننا الحنيف الذي نبذ الإسراف في كل شيء ونهى عنه، يقول الحق ﷻ: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]، ويقول ﷻ: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۝٢٦ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾[سورة الإسراء، الآيتان ٢٦، ٢٧]، ولا شك أن التبذير أعم من أن يكون في المال، فإنه يشمل التبذير في جميع المجالات بما فيها الإسراف في استخدام الماء وغيره.

ولقد عُرِفَ الشعب المصري منذ نشأته بأن عقيدته تقوم على احترام نعمة مياه نهر النيل، وتقوم ثقافة أبنائه منذ القدم على الحرص على نهر النيل وعدم تلويثه، واعتبار تلويثه جريمة من الجرائم الكبرى، وقد كان المصري القديم يكتب ضمن وصاياه في نهاية حياته أنه لم يفعل كذا وكذا من الجرائم، وأنه لم يلوث ماء النهر، وكأنه يتقرب إلى إلهه بهذه الفضيلة، وابتعاده عن تلك الجريمة النكراء، جريمة تلويث مياه النهر، فهذه ثقافة المصريين منذ القدم، وعقيدتهم منذ الأزل في احترام مياه النهر، والحفاظ على المياه، وعدم

تلويثها، وهو ما أكدت عليه شريعتنا الغراء.

وقد تضمن الكتاب مجموعة أبحاث تتحدث عن أهمية نعمة المياه، وأثرها في بناء الحضارات، وضرورة المحافظة عليها من خلال ترشيد استهلاكها، وعدم الاعتداء عليها، مع ملحق فني من إعداد وزارة الموارد المائية والري؛ لأن كل نقطة ماء يمكن أن تكون سببًا في حياة إنسان، أو حيوان، أو طائر، أو نبات، وإهدار كل نقطة ماء قد يعني إهدار حياة، كما أن كل نقطة ماء تساوي مالًا مقومًا، وفقدها أو إهدارها يعني مالًا مقومًا يذهب هدرًا، كما أن الحفاظ عليها نقية بلا تلوث يعد حفاظًا على ثروة مالية، وأن تلويثها يعني إهدارًا مائيًّا وماليًّا معًا؛ لأن تنقيتها تترجم إلى مال، وأثرها على الصحة لا يقوم بمال .

* * *

تقديمنا لكتاب

"الحوار الثقافي بين الشرق والغرب"(*)

ديننا الحنيف قائم على الإيمان بالتنوع والاختلاف، فهو آية من آيات الله وسُننه الكونية، حيث يقول سبحانه: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾ [سورة الروم، الآية ٢٢]، ويقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟﴾ [سورة الحجرات، الآية ١٣]، ويقول سبحانه: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ﴾ [سورة هود، الآيتان ١١٨- ١١٩]، فالتنوع قوة وثراء لو أحسنا التعامل معه والإفادة منه، وبديل الحوار هو الصدام، وبديل الإيمان بالتنوع والاختلاف هو الاقتتال والاحتراب.

(*) هذا الكتاب من إعداد الإدارة المركزية للسيرة والسُّنَّة بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

وبالواقع المعاين المشاهد ندرك أن أكثر الأمم إيمانًا بحق التنوع والاختلاف وقبول الآخر والمختلف وترسيخ أسس التعايش السلمي؛ هي أكثر الأمم أمنًا واستقرارًا وتقدمًا ورخاءً وازدهارًا، وأن الأمم التي وقعت في آتون الاحتراب والاقتتال الطائفي أو المذهبي أو العرقي أو القبلي دخلت في دوائر فوضى ودمار عصفت بكيانها وأصل وجودها، وعلى أقل تقدير مزقت أوصالها وهزت كيانها، ولو أن البشرية قد أنفقت على التنمية معشار ما تنفقه على الحروب لتغير حال البشرية وعمَّها الأمن والاستقرار.

وينبغي أن يقوم الحوار على أُسس ومرتكزات قوية، نذكر منها:

١- السعي الدائم نحو التعارف، والانفتاح على الثقافات الأخرى، وليس الانغلاق المحكم الذي يؤدي بنا إلى الخوف من الآخر المجهول، فتعميق الوعي بالآخر وثقافته ومجريات حياته يجعله بالنسبة لنا أقل غرابة، ويجعل الحوار معه أكثر يُسرًا وأسهل مأتىً وتناولًا، وإذا كان الحكم على الشيء فرعًا عن تصوره - كما يقول

المناطقة - فلا بد أن نتعرف على ما لدى الآخر من قيم ومثل وثقافات، وأن نحلل ذلك تحليلًا جيدًا محايدًا ومنصفًا قبل الحكم له أو عليه، وألا تكون لدينا أحكام وقوالب جاهزة مسبقة في الحكم على الآخرين.

وهو ما تنبه إليه كثير من علمائنا الأجلاء، فكتب الشيخ/ محمد عرفة ﷺ في مجلة الأزهر عام ١٩٤٦م: يجب أن يفهم الغرب الإسلام، وأن يفهم الإسلام مدنية الغرب، فإنهما إذا تفاهما زال ما بينهما من سوء ظن، وأمكن أن يعيشا معًا متعاونين، يؤدي كل منهما نصيبه من خدمة الإنسانية، كما ينبغي على العلماء المسلمين أن يبينوا مدنية الغرب على حقيقتها ليحل التعارف محل التناكر، ويحل السلام محل الخصام.

٢- تحكيم لغة العقل ورغبة جميع الأطراف في نبذ العنف والكراهية والتطرف والإرهاب، إيمانًا بأن قضية الصراع ليس فيها رابح مطلق أو خاسر مطلق، وأن عواقب الصراع والعنف والتطرف وخيمة على الإنسانية جمعاء، وأنه لا بديل للإنسانية عن البحث في القواسم والمصالح المشتركة ونقاط الالتقاء؛ لما فيه خير البشرية بعيدًا عن الحروب والصراعات والقتل والاقتتال والتخريب والتدمير.

٣- أن تكون لدى جميع الأطراف الرغبة الحقيقية في إعلاء القيم المشتركة وتجنب جميع مظاهر الأنانية والاستعلاء، يقول ابن رشد محددًا منهجه في الأخذ من ثقافة اليونان وغيرهم: يجب علينا أن ننظر في الذي قالوه وما أثبتوه في كتبهم، فما كان منها موافقًا للحق قبلناه منهم، وسُررنا به، وشكرناهم عليه، وما كان منها غير موافق للحق نبّهنا عليه وحذّرنا منه، وعذرناهم.

٤- التركيز على الإفادة من النافع والمفيد، وغض الطرف عن خصوصيات الآخر الثقافية التي لا تتفق مع قيمنا وحضارتنا، في ضوء الاحترام المتبادل بين الأمم والشعوب، من غير أن يحاول الغرب أن يفرض قيمه وأنماط حياته الخاصة على الشرق، ولا أن يحاول الشرق حمل الغرب حملًا على مفردات حضارته وثقافته وقيمه وتراثه، بل على الجميع أن يُعلي من شأن القيم المشتركة، وما أجمعت عليه الشرائع السماوية والقيم الإنسانية، فيبحث الجميع عن المتفق عليه، ويعذُر بعضهم بعضًا في المختلف فيه.

٥- التأكيد على أن الأخلاق والقيم الإنسانية التي تكون أساسًا للتعايش بين البشر لم تختلف في أي شريعة من

الشرائع، يقول نبينا ﷺ: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت».

فأروني أي شريعة من الشرائع أباحت قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، أو أباحت عقوق الوالدين، أو أكل السحت، أو أكل مال اليتيم، أو أكل حق العامل أو الأجير.

وأروني أي شريعة أباحت الكذب، أو الغدر، أو الخيانة، أو خُلف العهد، أو مقابلة الحسنة بالسيئة، بل على العكس فإن جميع الشرائع السماوية قد اتفقت وأجمعت على هذه القيم الإنسانية السامية، من خرج عليها فإنه لم يخرج على مقتضى الأديان فحسب، وإنما يخرج على مقتضى الإنسانية وينسلخ من آدميته ومن الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها.

وقد علمنا ديننا الحنيف أن نقول الكلمة الطيبة للناس جميعًا بلا تفرقة، فقال سبحانه: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [سورة البقرة، الآية ٨٣]، بل نحن مطالبون أن نقول التي هي أحسن، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [سورة الإسراء، الآية ٥٣]، ويقول سبحانه: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ

أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴾ [سورة فصلت، الآيتان ٣٤ - ٣٥].

إنها لدعوة عظيمة للتسامح في كل الشرائع السماوية لكي تعيش البشرية في سلام وصفاء، لا نزاع ولا شقاق، ولا عنف ولا إرهاب، وهو ما نسعى إليه من خلال اعتمادنا المنهج الحضاري بين الشرق والغرب على النحو الذي يحقق سعادة البشرية وسلامها دون تمييز.

* * *

المبحث الثاني: مقدمات أُخر

- مقدمة كتاب: الفكر النقدي بين التراث والمعاصرة.
- مقدمة رسالة علمية: الاعتذاريات في الشعر العربي حتى نهاية العصر العباسي "عرض ودراسة وموازنة".

مقدمة كتابنا

"الفكر النقدي بين التراث والمعاصرة"

العلاقة بين التراث والمعاصرة في الفكر النقدي – شأن كثير من المتقابلات – ليست علاقة عداء أو قطيعة، ولن تكون، ولا ينبغي أن تكون، وإن الوسطية التي نحملها منهجًا ثابتًا في كل مناحي حياتنا، ونجعل منها ميزانًا دقيقًا نزن بها أمورنا كلها، إنما هي منهج ثابت ننطلق منه في كل جوانب حياتنا العلمية والفكرية والفلسفية والتطبيقية، لا نحيد عن هذا المنهج قيد أنملة، فقد قالوا: لكل شيء طرفان ووسط، فإن أنت أمسكت بأحد الطرفين مال الآخر واختل توازنه، وإن أنت أمسكت بالوسط استقام لك الطرفان، ونحن مستمسكون بهذا الوسط وتلك الوسطية، لا إفراط ولا تفريط ولا غلو ولا تقصير.

فنحن لا نتعصب للقديم لمجرد قدمه، ولا نسلم زمام عقلنا للتقليد الأعمى دون أن نمعن النظر فيما ينقل إلينا أو

يلقى علينا، فقد ميز الله ﷻ الإنسان عن سائر الخلق بالعقل والفكر والتأمل والتدبر والتمييز، ونعى على من أهملوا هذه النعم ولم يوفوها حقها، فقال سبحانه: ﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾[سورة يس، الآية ٦٨]، وقال تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [سورة الأنعام، الآية ٥]. ويقول سبحانه:﴿ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴾[سورة طه، الآية ٥٤]، ويقول ﷻ: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ [سورة العنكبوت، الآية ٤٣]، ولما نزل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [سورة آل عمران، الآية ١٩٠]، قال نبينا ﷺ: «ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها» (رواه ابن حبان في صحيحه).

ولا يمكن أيضًا أن ننسلخ من هذا التراث العريق أو نقف منه موقف القطيعة، ونعمل في الهواء الطلق، فمن لا ماضي له لا حاضر له ولا مستقبل، بل علينا أن

نأخـذ من المـاضي العريق النافـع والمفيد الـذي ننطلق به في الحـاضر ونؤسـس به للمسـتقبل.

وأؤكـد أن في تراثنـا النقدي مـن الفكر والثـراء والتنوع مـا يحتـم علينـا إعـادة قـراءة هـذا الـتراث قـراءة جديـدة عصريـة يمكـن أن تشـكل أساسًـا قويًّـا ومتينًا لبنـاء نظرية عربيـة في النقـد الأدبي، لا تنفصـل عـن تاريخهـا ولا عـن هويتهـا ولا عـن واقعهـا، بـل يمكـن أن تكـون حـال نضجهـا أحـد أهـم ملامـح هويتنـا الواقيـة وخصوصيتنـا الثقافيـة في زمـن العولمـة والتيـارات النقديـة والفكريـة والثقافيـة الجارفـة.

وكـما أننا لا يمكـن أن نرفـض القديم لقدمـه، لا يمكن أيضًـا أن نرفـض الحديـث لحداثتـه، أو لكونـه ثقافة الآخر أو المختلـف، أو كونـه ثقافـة وافـدة عـلى ثقافتنـا، أو أن ندعـو إلى الانكفـاء عـلى الـذات والتمحـور أو التقوقـع حولهـا، فهـذا عـين الجمـود والتحجر الـذي نواجهـه بكل قـوة وحسـم، فثقافـة أخـرى تعنـي عقـلًا آخـرَ، وإضافـة جديـدة، ومـادة جديـرة بالاعتبـار والتأمـل والنظـر، بـل

إنني لأدعو إلى إعمال الفكر وإمعان النظر في كل ما هو عصري أو حديث أو جديد، فنأخذ منه النافع والمثمر والمفيد، وما يشكل إضافة حقيقية لثقافتنا، ويتناسب مع قيمنا وأخلاقنا وحضارتنا، ونتجاوز ما لا يتسق مع هويتنا الثقافية وقيمنا الراسخة.

كما يجب أيضًا ألا نتخلف عن الركب، فنتشبث بآراء ونظريات ثبت عدم جدواها عند الغربيين أنفسهم، فدعا نُقَّادهم إلى ضرورة مراجعتها، أو تخلوا هم عنها وبحثوا عن نظريات أو رؤى أخرى جديدة رأوها أكثر دقةً وملاءمةً ونفعًا، أو وجدوا فيها خيط نجاة جديد يخلصهم من تعقيدات وفلسفات بعض النظريات التي خرجت بالنقد الأدبي عن لبابه إلى معالجات انحرفت بالنص الأدبي عن مساره الطبيعي إلى مسارات أخرى ربما كان من الأجدى تطبيقها على علوم وفنون أخرى غير النص الأدبي، إذ تبقى عظمة وخصوصية النص الأدبي والنقدي في كون كل منهما نصًّا ينطق أدبًا ويفيض أدبًا ويشع أدبًا قبل أي شيء آخر.

وقد حاولت في هذا الكتاب "الفكر النقدي بين التراث والمعاصرة" أن أقف عند بعض القضايا النقدية المعاصرة ذات الجذور التراثية، وبعض القضايا التراثية فأعيد قراءتها في ضوء معطيات النقد الحديث؛ لأؤكد من خلال تناولي لهذا وذاك أن العلاقة بين القديم والحديث يمكن أن تكون علاقة تكاملية، وليس شرطًا أن تكون علاقة إقصاء أو صراع، وأنه يمكننا أن ننسج من هذا و ذاك نظرية عربية عصرية متكاملة في النقد الأدبي.

ويضم هذا الكتاب خمسة فصول تتكامل في تحقيق هذا الهدف، ونؤمل أن تسهم في إنتاج النظرية التي نهدف إليها، على النحو التالي:

الفصل الأول: المعادل اللغوي.. دراسة تطبيقية في ضوء النص القرآني.

الفصل الثاني: دلالة السياق وأثرها في النص الأدبي .. دراسة نقدية.

الفصل الثالث: العدول بين القدماء والمحدثين.. دراسة نقدية.

الفصل الرابع: جدلية الحضور والغياب بين القدماء والمحدثين.. دراسة أسلوبية نقدية.

الفصل الخامس: الفكر النقدي في المثل السائر في ضوء النقد الحديث.

وإني لأرجو أن أكون قد وفقت فيما قصدت، والله الموفق والمستعان.

* * *

مقدمة رسالة علمية(*)

"الاعتذاريات في الشعر العربي حتى نهاية العصر العباسي ... عرض ودراسة وموازنة"

الحمد لله غافر الذنب وقابل التوب، العزيز الرحيم، والصلاة والسلام على نبينا محمد ﷺ الذي وصل من قطعه، وعفا عمن ظلمه، وأعطى من حرمه، وأحسن إلى من أساء إليه، وعلى آله وصحبه، ومن سلك طريقهم إلى يوم يبعثون.

وبعد:

فحين وفقني الله لتسجيل درجة العالمية "الدكتوراه" كنت قد حددت الاتجاه عازمًا على أن تكون دراستي دراسة تراثية، إيمانًا مني بقيمة هذا التراث وعظمته، بل روعة وإعجابًا بما قدمه أسلافنا العظماء من فكر ثاقب، وأدب رائع قلَّ أن تجود القرائح بمثله.

(*) رسالتنا للدكتوراه.

وهذه حقيقة لا ينكرها إلا جاحد أو معاند من هؤلاء الذين يعملون على النيل من أدبنا العربي، قاصدين ضرب الإسلام في شخص العرب.

وقد تبنى هذا الأمر أناس فتنوا ببريق الحضارة الغربية وزخارفها المادية، فأخذوا يرددون مع أرباب هذه الحضارة القول بأن التشبث بالإسلام والعروبة يعد سببًا من أقوى الأسباب التي أدت إلى تخلف أمتنا وتأخر مكانتها بين الأمم، متناسين أو متجاهلين أن حضارتنا العربية الإسلامية قادت العالم وأضاءت ربوعه قرونا طويلة، وأن أبناءها قادرون على مواصلة المسيرة لو أن الله هيأ لهم رشدًا من أمرهم.

إن تراثنا العريق – مع تلك الهجمات الشرسة، والطعنات المتتابعة التي توجه إليه من أعدائه تارة، ومن بعض أبنائه أخرى – لفي حاجة ملحة إلى جهود أبنائه المخلصين الذين يشمرون عن سواعدهم، ويبذلون قصارى جهدهم ليعيدوا قراءته ويكشفوا جوانب الإبداع فيه، حتى يدرءوا شُبَهَ الطاعنين، ويردوا كيدهم في نحورهم، وليتمن الله هذا الأمر ولو كره المجرمون.

وقد نظرت في الكتب والدراسات الأدبية القديمة فرأيت أنها قد عنيت بجمع الأشعار، والأخبار، وما يتعلق بحياة الشعراء وبيئاتهم أكثر من عنايتها بالفنون الأدبية.

وليس من حقنا أن نعيب عليهم مناهجهم، أو أن نحاكمهم في ضوء المفاهيم الحديثة والعصرية بل علينا أن نقدر أنهم أبناء عصورهم، وأننا مطالبون بأن نحكم على نتاجهم الفكري في إطار زمانهم، وأن نبدأ من حيث انتهوا، وأن نجتهد لزماننا كما اجتهدوا لزمانهم.

وهذا ما قام به بعض الباحثين والكُتَّاب الذين تناولوا فنون الشعر وأغراضه بالبحث والدراسة، فصارت المكتبة الأدبية تضم كثيرًا من الكتب والرسائل في فنون الشعر المختلفة من الغزل، والمديح، والهجاء، والرثاء، والوصف.

ولكن شعر الاعتذار كان واحدًا من الفنون الشعرية التي لم تأخذ نصيبها بين هذه الدراسات، مما دفعني لاختياره ودراسته تحت عنوان:

"الاعتذاريات في الشعر العربي حتى نهاية العصر العباسي ... عرض ودراسة وموازنة"

وحتى لا أغمط أحدًا حقه فإني أشير - بادئ ذي بدء - إلى أهم الدراسات التي سبقت في هذا الموضوع، والتي تتمثل فيما يلي:

أ- العفو والاعتذار لأبي الحسن محمد بن عمران العبدي المعروف بالرَّقام البصري (صاحب ابن دريد اللغوي) تحقيق: د/ عبد القدوس أبو صالح، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

وهذا الكتاب يعد من أهم المصادر القديمة التي تناولت فن الاعتذار، وقد أفدت منه إفادة طيبة، غير أنه لم يتناول من شعر الاعتذار إلا القليل؛ لأنه - في الواقع - إنما كان يعنى بإبراز فضيلة العفو، وتناول الاعتذار باعتباره سببًا من أسبابه، ووسيلة من وسائله، ولو كان الاعتذار - في حد ذاته - هدفًا من أهدافه ما أهمل النابغة وهو أستاذ هذا الفن، ولا البحتري وهو الرجل الثاني بعد النابغة، فإنه لم يذكر من شعر النابغة في الاعتذار سوى بيت واحد جاء ذكره عرضًا على لسان حجر بن سليمان الكاتب، أما اعتذاريات النابغة إلى النعمان فلم يشر إليها من قريب أو

بعيد، والبحتري لم يرد له ذكر في هذا الكتاب، كما أنه لم يشر إلى اعتذاريات عدي بن زيد – وهو صنو النابغة في العصر الجاهلي في هذا الفن – ولم يذكر له خبرًا يتصل بهذا الغرض، أو بيتًا واحدًا فيه.

يضاف إلى ذلك أنه عني بجمع الأخبار، وتسجيل المواقف أكثر من عنايته بجمع الأشعار، وأن عنايته بالجمع شغلته عن التحليل أو التعليق، فالرجل قد رسم لنفسه منهجًا، وسار عليه، وقد وفق فيما رسمه لنفسه فجمع الكثير، وأنار الطريق لمن أتى بعده من الكُتَّاب والباحثين.

ب- الاعتذار في الأدب العربي حتى العصر العباسي، د/ محمد حامد شريف، طبع مطبعة الرضا بطلخا سنة ١٤٠٥هـ – ١٩٨٩م.

ولا شك – أيضًا – أني أفدت من قراءته، وانتفعت به في بحثي على أني أشير إلى الآتي:

١- أن دراسته لشعر الاعتذار كانت موجزة، فقد جمع بين العصرين الجاهلي وصدر الإسلام، وتناولهما في ثلاثين صفحة من القطع المتوسط، وجمع بين العصرين الأموي

والعباسي، وتناولهما - على امتدادهما - في ست وثلاثين صفحة فحسب.

٢- أنه لم يكن قصرًا على الشعر، فقد تناول الاعتذار في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وفي المواقف القصصية التاريخية، وفي التوقيعات والرسائل وارتكز على ذلك ارتكازًا كبيرًا.

٣- أنه لم يستقص ألوان الاعتذار، فقد تابع الرَّقام في العناية بالاعتذار إلى الملوك وعمالهم، وأضاف إلى ذلك شيئا يسيرًا، ولم يشر مجرد إشارة إلى الاعتذار عن الفرار أو الشيب، أو سائر العيوب الخلقية والخلقية.

٤ - أنه ارتضى لنفسه منهجًا لم يشأ أن يجعل الموازنة جزءًا منه أو جانبًا من جوانبه؛ لذا لم يكن هذا الكتاب كافيًا في دراسة هذا الفن .

وقد استعنت بالله ﷻ في تناولي موضوع الرسالة على لم شعثه وسبر أغواره، فعمدت إلى دواوين الشعراء، والمجموعات الشعرية، وكتب التراجم والطبقات، وكتب التاريخ والسير، وكتب الأيام والوقائع، وكتب الأنساب،

مستعينًا مع ذلك بالدراسات الحديثة والعصرية، أطالع هنا وهناك في تؤدة وأناة، يدفعني إلى ذلك حب البحث ورغبة التحصيل، متخذًا من هذا البحث صديقًا حميمًا يرحل حيث أرتحل، ويقيم حيث أقيم، حتى أذن الله بإخراجه في هذه الصورة التي أرجو لها الرضا والقبول.

وقد بنيته من مقدمة، وتمهيد، وخمسة فصول، وخاتمة، ثم فهرست للآيات والأحاديث والأمثال والقوافي، والشعراء، والموضوعات.

أما المقدمة فتحدثت فيها عن سبب اختيار هذا الموضوع، والدراسات التي سبقته والخطة والمنهج.

وأما التمهيد فعرضت فيه لمفهوم الاعتذار عند اللغويين والأدباء مناقشًا آراءهم ومرجحًا ما يدعم الدليل ترجيحه.

وأما الفصل الأول: فيتناول "الاعتذاريات في الشعر العربي في العصر الجاهلي".

وفيه تحدثت عن أولية هذا الفن، مبينًا أن النابغة الذبياني لم يكن أول من طرقه، وإن كان قد أكثر منه، وأسهب فيه

حتى عرف به، وصار ذكره مصاحبًا له، فلا يكاد يذكر النابغة إلا ويذكر معه الاعتذار، ولا يذكر الاعتذار إلا ويذكر معه النابغة.

وقد ناقشت رأي من أسندوا إليه الأولية في هذا الفن، ورأي من أسندها إلى عدي بن زيد، مؤكدًا أن عمرو بن قميئة كان أسبق إليه منهما، متخذًا من التاريخ الحجج والأسانيد التي تدعم ما انتهيت إليه.

ثم عرضت ألوان الاعتذار في هذا العصر، فبدأت بالاعتذار إلى الملوك مراعيًا الترتيب الزمني للشعراء داخل هذا المبحث، فتحدثت عن اعتذار ابن قميئة فعدي بن زيد ثم النابغة، وأردفت ذلك بموازنة بين عدي والنابغة قطبي الاعتذار في هذا العصر.

ثم تحدثت عن الألوان الأخرى كاعتذار المقاتلين والأبطال والاعتذار الإخواني الذي كان قليلا في هذا العصر، مما يؤكد أن العرب في العصر الجاهلي - وبخاصة أهل البادية - لم يكونوا يعتذرون إلا تحت ضغط ظروف قاهرة، كما تحدثت عن الاعتذار عن الشيب، وختمت هذه الألوان باعتذار المحبين.

وأما الفصل الثاني: فيتناول "الاعتذاريات في الشعر العربي في عصر صدر الإسلام".

وفيه بينت أن النبي ﷺ كان حليمًا واسع الصدر فتح الباب واسعًا أمام الشعراء الذين دأبوا على النيل من دعوته محاولين عرقلة طريقها، ثم قبل منهم، وعفا عنهم.

وقد أفردت الاعتذار إلى النبي ﷺ وآل بيته الأطهار بمبحث خاص، ولم أجعله داخلًا في الاعتذار إلى الملوك؛ لأن النبي ﷺ أعظم وأشرف من أن يكون ملكًا، أو يسلك في عداد الملوك والرؤساء.

ثم تحدثت عن الاعتذار إلى الخلفاء واعتذار المقاتلين، والاعتذار للأصدقاء، وختمت هذا الفصل بالحديث عن البُعْد الذي أضافه هذا العصر إلى فن الاعتذار.

وأما الفصل الثالث: فعن "الاعتذاريات في الشعر العربي في العصر الأموي".

وفيه بيَّنت أن الحياة السياسية والاجتماعية قد تغيرتا عما كانتا عليه في صدر الإسلام، وكان لذلك أثره في نفوس

الشعراء الذين وقف بعضهم مؤيدًا للأمويين ووقف بعضهم معارضًا أو مناوئًا لهم، فتحدثت عن الاعتذار إلى الخلفاء موازنًا بين اعتذار عبد الله بن الحجاج الثعلبي، ونصيب بن رباح، والفرزدق، وطريح بن إسماعيل الثقفي.

ثم ألمحت إلى أن ظروف الحياة الجديدة قد اقتضت أن يطلق الأمويون أيدي بعض الولاة في شئون ولاياتهم مما أعطى هؤلاء الولاة قوة أرهبت خصومهم، وجعلت وعيدهم أمرًا مرًّا على من ينصب عليه، فأقبل عليهم بعض الخصوم خاضعين مستسلمين يطلبون العفو والصفح.

ثم تحدثت عن اعتذار أو احتجاج الشعراء السود الذين أخذت بعض الأعين تنظر إليهم شذرًا في هذا العصر بعد أن كان الإسلام قد سوى بينهم وبين غيرهم، فحفظ لهم كرامتهم وكفاهم مؤنة الرد.

ثم أعقبت ذلك بالحديث عن أثر التغير السياسي والاجتماعي الذي حدث في هذا العصر على شكل القصيدة الاعتذارية ومضمونها.

وأما الفصل الرابع: فتناولت "الاعتذاريات في الشعر العربي في العصر العباسي".

وفيه تحدثت عن الاعتذار إلى الخلفاء، وجاء ذلك في ثلاثة مباحث: اعتذار المخضرمين الذين فرضت عليهم ظروف الحياة الجديدة أن يتحولوا - بتحول الأيام - عن بني أمية إلى بني العباس، واعتذار بعض المناوئين للدولة العباسية، ثم اعتذار الشعراء الموالين لها.

ثم تحدثت عن الاعتذار إلى الوزراء والولاة - وبخاصة الفرس - الذين تبوءوا مكانة خطيرة كادت تعصف بالدولة كلها لولا أن الله عجل بهم على يد الخليفة الرشيد، ثم عاد نجمهم يلمع مرة أخرى حين استعان بهم الخليفة المأمون على قتال أخيه الأمين.

ثم تناولت لونين آخرين تأثرا - إلى حد كبير - بالحياة الاجتماعية والثقافية في هذا العصر، وهما: الاعتذار عن الشيب، واعتذار المحبين.

وختمت هذه الألوان بالحديث عن اعتذار التائبين، معقبًا على ذلك كله بأثر الحياة العباسية في فن الاعتذار.

وأما الفصل الخامس فعنوانه: "دراسة فنية لشعر الاعتذار".

وجاء في ثلاثة مباحث على النحو التالي:

- المبحث الأول: العاطفة.

- المبحث الثاني: اللفظ والمعنى أو الشكل والمضمون - وجاء في مطلبين:

أحدهما: المعنى.

والآخر: لغتهم - مفردات وتراكيب.

- المبحث الثالث: وحدة القصيدة.

وقد عرضت فيه لآراء القدماء والمحدثين في هذه القضية مناقشًا آراء هؤلاء وأولئك، كما رددت على من وصفوا القصيدة العربية بأنها مفككة الأوصال، وقالوا بإعفائها حتى من الترابط النفسي.

ثم بينت أن القصيدة الاعتذارية قد تمثلت في نمطين:

أحدهما- وهو الغالب -: سار على النسق التقليدي.

والآخر: تجديدي هجم الشاعر فيه على الموضوع بلا تمهيد ولا توطئة.

ولكـن واحـدًا مـن النمطـين لم يخل مـن الوحـدة الفنية أو الترابـط النفـسي، فجـاءت القصائد بنـاء ملتحمًا، ينهض متماسـكًا بالغـرض الذي أراد الشـاعر .

ثـم جـاءت بعد ذلـك الخاتمـة لتلخـص أهم نتائـج هذا البحـث، وتبرز الجديـد فيه.

وقـد سرت في هـذا البحث عـلى ضوء المنهـج التكاملي، مسـتفيدًا بالدراسـات النقديـة، والتاريخيـة، والنفسـية حسـب متطلبـات كل مبحـث أو مطلـب.

وجمعت بين العرض والموازنة، ودمجت الموازنة في العرض، وراعيت توزيع النصوص بين فصول هذا البحث، فاد خرت بعضها للفصل الأخير حتى لا أضطر إلى التكرار أو كثرة الإحالات.

وإني لأقـدر أن هـذا إنـما هـو جهـد المقـل، وأنهـا نقطـة البدايـة عازمًا عـلى الصبر والمثابـرة، وبذل المزيـد من الجهد في خدمـة لغتنـا العربيـة العريقـة، متتبعًـا في ذلـك هـدى أسـاتذتي، سـائلًا الله أن أكـون عنـد حسـن ظنهـم.

فإن كنت قد وفقت فذلك فضل الله، وهو أملي الذي من أجله أجهدت نفسي، وأسهرت ليلي، وإن كانت الأخرى فذلك من نفسي، وحسبي أني حاولت واجتهدت دون أدنى ميل إلى الراحة أو الكسل وكلي أمل فيمن لا يضيع أجر العاملين.

* * *

المبحث الثالث: خواتيم وخلاصات

وفيه:

١- خاتمة كتاب "الفكر النقدي بين التراث والمعاصرة".

٢- خاتمة رسالة علمية: الاعتذاريات في الشعر العربي حتى نهاية العصر العباسي .. عرض ودراسة وموازنة.

٣- خلاصات تعريفية لبعض إصدارات سلسلة "رؤية".

خاتمة كتابنا

"الفكر النقدي بين التراث والمعاصرة"

وهذا نصها:

أننا لو أعدنا قراءة تراثنا النقدي قراءة واعية منصفة لوقفنا على كثير من كنوزه ونفائسه، واتضح لنا - بما لا يدع مجالًا للشك - أن الحياة الأدبية العربية في عصرها الذهبي كانت تموج بتيارات وحركات نقدية لا تقل حيوية وأهمية عن حركة الحياة الأدبية والنقدية في القرنين العشرين والحادي والعشرين سواء في أوروبا أم في عالمنا العربي، وأن القضايا التي تناولها النُّقَّاد العرب القدماء لم تمت بموتهم، فإن الكثير منها ما زال حاضرًا بقوة في ثقافتنا الأدبية والنقدية، وما زال قادرًا على تشكيل منطلق قوي ومتين لنظرية عربية حديثة في النقد الأدبي تنظر بعين الاعتبار إلى الماضي والحاضر معًا، بحيث لا تنكفئ على القديم ولا تنسلخ منه، ولا تنعزل عن الحاضر والآخر الثقافي، ولا تذوب في هذا الآخر ذوبانًا

يفقدها خصوصيتها وتميزها، بل تنتقي من هـذا وذاك النافع والمفيد، الذي يتناسب مع حضارتنا وقيمنا وثقافتنا العربية والإسلامية، بحيث تصبح هذه النظرية "عند نضجها" هويتنا الواقية في مواجهة تيارات العولمة الجارفة العاتية.

أن طريقة التعبير عن الأفكار أو العواطف أو الأحاسيس إذا جاءت في أعلى درجات المشاكلة وإصابة المحزّ في التوافق والمواءمة بين اللفظ والمعنى، سواء تضمنت رمزًا أو قناعًا أم لم تتضمن شيئًا من ذلك "فإننا يمكن أن نطلق عليها مصطلح" المعادل التعبيري" وهو المصطلح الأعم.

أن هذه الطريقة إذا تضمنت رمزًا أو قناعًا أو خلق موقف أو سلسلة من المواقف تعادل العواطف والمشاعر والأفكار "فإننا يمكن أن نطلق عليها مصطلح" المعادل الموضوعي"، فتكون العلاقة بينه وبين "المعادل التعبيري"علاقة عموم وخصوص مطلق، فكل معادل موضوعي هو معادل تعبيري ولا عكس.

أن طريقـة التعبـير اللغـوي إذا لم تتضمـن رمـزًا ولا قناعًـا، وكانـت في قمـة المشـاكلة بـين الألفـاظ ومعانيها "

فإننا يمكن أن نطلق عليها مصطلح "المعادل اللغوي" وتكون العلاقة بينه وبين "المعادل التعبيري" علاقة عموم وخصوص مطلق- أيضًا -، فكل معادل لغوي هو معادل تعبيري ولا عكس.

أن المعادل اللغوي إذا قصد به قمة المشاكلة بين اللفظ ومعناه فإننا يمكن أن نطلق عليه مصطلح "المعادل اللفظي"، وإذا قصد به قمة المشاكلة بين الجملة أو العبارة وما تعبر عنه من عواطف ومشاعر وأفكار فإننا يمكن أن نطلق عليه مصطلح "المعادل الأسلوبي".

أن قضية المعادل اللغوي وإن لم يتناولها نُقَّادنا القدماء كمصطلح نقدي فإنها ضاربة بجذور راسخة في تنظيرهم لقضية المواءمة والمشاكلة بين الألفاظ ومعانيها، وفي تطبيقاتهم لهذه القضية.

أنني اخترت التطبيق على بعض جوانب النص القرآني؛ لأن القرآن الكريم هو "جملةً وتفصيلًا" في أعلى درجات البلاغة والبيان، وعلى ذروة سنام قمة المشاكلة بين الألفاظ ومعانيها، وكيف لا يكون كذلك وهو كلام رب العالمين،

ومعجزة الإسلام الكبرى ؟ لم تلبث الجن إذ سمعته أن قالو ا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾[سورة الجن، الآيتان ١- ٢]، وما أن سمع أحد الأعراب قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَـٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَـٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [سورة هود، الآية ٤٤]، حتى انطلق لسانه قائلًا: أشهد أن هذا كلام رب العالمين لا يشبه كلام المخلوقين، وإلا فمن هذا الذي يستطيع أن يأمر الأرض أن تبلع ماءها فتبلع؟ ويأمر السماء أن تكف عن إنزال الماء فتقلع؟!

ولعل هذه البلاغة العالية التي لا تدانيها بلاغة هي التي دفعت كاتبًا كـ (طه حسين) إلى أن يقول: الكلام شعر ونثر وقرآن، ذلك لأن القرآن الكريم وإن كان من جنس كلامهم وحروفهم إلا أنه نسيج وحده في الفصاحة والبلاغة والبيان، إذ لا تكاد ألفاظه تصل إلى الأسماع حتى تكون معانيه قد وصلت إلى القلوب، فيهجم عليك الحسن منه دفعة واحدة، فلا تدري أجاءك من جهة لفظه أم من جهة معناه، وصدق الحق سبحانه وتعالى إذ يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ

كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾
[سورة فصلت: الآيتان ٤١- ٤٢].

أن أدباءنا ونُقَّادنا القدماء كانوا على وعي كبير بالسياق وأثره في بنية النص، وإن لم يطلقوا عليه هذا الاسم، أو يعرفوه بحد أو رسم، فقد راعوا ما يقتضيه السياق سواء في إشاراتهم إلى ضرورة مراعاة الحال والمقام، أم في حديثهم عن النظم، أم في ثنايا دراساتهم التطبيقية.

أن ما كتبه البلاغيون والنُّقَّاد القدماء حول السياق يعد أساسًا قويًّا للدراسات الأسلوبية والسياقية الحديثة والعصرية، وبخاصة كتابات عبد القاهر في دلائل الإعجاز، وكتابات ابن الأثير في المثل السائر، وأن كثيرًا من الكُتَّاب المعاصرين المنصفين يعدون الإمام عبد القاهر الأب الروحي للدراسات الأسلوبية والسياقية، ويعدون دراسته للنظم منطلقًا قويًّا لكثير من قضايا النسق الحداثي.

أن النُّقَّاد المحدثين والمعاصرين فصلوا ما أجمله النُّقَّاد القدماء وحاولوا تقنينه، فبعد أن كان الأمر "في جملته" يدور

حول النظم ومقتضى الحال والمقام وما شابه ذلك صار عند النُّقَّاد المعاصرين أكثر تفصيلًا، فتحدثوا عن سياق النص بما يشمله من بنى صوتية وتصريفية ومعجمية وتركيبية، وعن سياق الموقف وسياق الثقافة.

أن الفارق بين رؤية القدماء والمعاصرين للسياق هو أن القدماء قد انصبت عنايتهم على دراسة الكلمة وموقعها من الجملة، أو دراسة الجملة وموقعها من النص، وما يعتريها من تقديمٍ أو تأخيرٍ، أو حذفٍ أو ذكرٍ، أو فصلٍ أو وصلٍ، ونحو ذلك، في حين تطلب المحدثون والمعاصرون تجاوز هذه النظرة الجزئية إلى دراسة سياقية تنظر بعين الاعتبار إلى النص برمته، وتعمد إلى ربط السياقات المختلفة بعضها ببعض، ولا تقتصر على مجرد الربط بين هذه السياقات، بل تخرج من هذا الربط بسمات وخصائص متميزة، غير أن دراساتهم التطبيقية وإن حاول بعضها مقاربة بعض النصوص بصفة شمولية فإن أكثرها لا يكاد يخرج في مقاربته التحليلية أو النقدية عن تناول القدماء لنصوصهم.

من خلال رؤيتنا للدراسات الأسلوبية، والنصية، والبنيوية، والتفكيكية، وغيرها، نؤكد أن نظرية السياق

من أهم النظريات في دراسة وتحليل النصوص؛ لأنها وإن كانت تعنى بالنص من داخله، وتركز على دراسة بناه ولبناته الصوتية والمعجمية والدلالية والبلاغية والجمالية فإنها لا تلغي المعطيات والمؤثرات الخارجية التي يمكن أن تضيء بعض جوانبه، بل لا يمكن أحيانًا فهم بعض جوانب أو أسرار النص إلا بالوقوف على هذه المعطيات.

أن الوعي بالسياق ودراسته يفيد إفادة بالغة في دراسة النص القرآني سواء في تفسيره تفسيرًا تحليليًّا أم في تفسيره تفسيرًا موضوعيًّا ينظر إلى الآيات في ضوء سياقها الأكبر ومقاصدها التشريعية العامة، كما أنه يفيد الأصوليين والفقهاء في بناء قواعدهم الكلية واستنباط أحكامهم التفصيلية، كما أنه لا غنى عن دراسته للأديب المبدع والأديب الناقد على حد سواء.

أن مصطلح "العدول" يعني الخروج عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى أو عن أسلوب إلى أسلوب آخر، لخصوصية يقتضيها المقام أو السياق.

أن العدول بهذا المفهوم ضارب بجذور راسخة في أعماق تراثنا الأدبي والنقدي، وأن أدباءنا ونُقَّادنا القدماء كانوا على

وعي كبير بمفهوم العدول، وأنهم أفادوا منه في كثير من تطبيقاتهم النقدية والبلاغية، وأن تناولهم له كان في ضوء ما يقتضيه السياق دون تكلف أو اعتساف.

أن تناول المحدثين المنصفين للعدول لا يخرج عن تناول القدماء له إلا في بعض التفصيلات وشيء يسير من التنظير الذي تقتضيه طبيعة العصر.

أن فهم هذا المصطلح يشكل منطلقًا رئيسًا لفهم اللغة الأدبية والبُنى الأسلوبية التي يعد الخروج على النمط المثالي المألوف من أهم خصائصها، ويسهم "إلى حد كبير" في فك شفرات هذه اللغة وتلك البُنى.

أن كثيرًا من تخريجات البلاغيين على خلاف الأصل أو خلاف مقتضى الظاهر لا تكاد تفهم فهمًا دقيقًا إلا في ضوء الوعي النقدي لمفهوم العدول.

أن مفهوم العدول جاء واضحًا جليًّا عند من استخدمه من النُّقَّاد القدماء أو المحدثين المنصفين غير المتحاملين على تراثهم، في حين أدى تفنن بعض النُّقَّاد والكتاب الحداثيين وما بعد الحداثيين في اختيار مصطلحات بديلة ولجوء

بعضهم إلى نقل مصطلح غربي بديل إلى ارتباك وفوضى في فهم هذا المصطلح، فجاء محمَّلًا بما ينبئ عن رؤيتهم الحانقة "أو المتوجسة على أقل تقدير" تجاه تراثنا اللغوي والأدبي، فكانت مصطلحات عدة، مثل: الانحراف، الانزياح، الانتهاك، الشناعة، العصيان، الإطاحة، خرق السُّنن، وغير ذلك من المصطلحات التي تحمل معنى الثورة والتمرد تارة، والهدم والتدمير تارة أخرى، وهو ما صرح به بعض كتاب هذه الحداثة.

أن فهم الأسرار الكامنة وراء علاقات الحضور والغياب يمكن أن يسهم في تشكيل رؤية ناضجة لدى كل من المبدع والناقد بأهمية إعمال الفكر في سلسلة البدائل التي يمكن أن ترقى بالنص إلى مستوى أفضل، وتجنب المبدع أو المنشئ كثيرًا من الملاحظات النقدية التي يمكن أن يتعرض لها عمله إذا جاء عفو الخاطر دون إعمال العقل في هذه البدائل، أو دون مراعاة الدقة في اختيار أنسبها وأقربها إلى بنية النص وسياقه.

وتبلغ الدقة ذروتها حين يبحث الناقد في سلسلة البدائل المتاحة فيعود بعد جهدٍ ولأيٍ إلى البنية التي

اختارهـا المبـدع، حيث لا يصلـح في موضعهـا غيرها، ولا يقـوم مقامهـا بنية سـواها.

كما أن فهم هذه الأسرار فهمًا دقيقًا يسهم "إلى حد كبير" في تصور ما يحمله الحاضر من دلالة على الغائب، أو تشرّب لمعناه، ويساعد على ردم الفجوة بين الحاضر والغائب، بين المتجلي والخفي، بين المذكور والمسكوت عنه، وفـق تعبيرات الحداثيين المتعددة.

أن نُقَّادنا القدماء كانوا على وعي كبير بمفهوم كثيرٍ من المصطلحات النقدية الحديثة، وإن لم يخوضوا في تعريفها، أو يقفوا عند تحديدها ذلك التحديد العلمي الدقيق الذي اقتضته طبيعة الدراسات النقدية الحديثة وسُنَّة التطور العلمي.

فعلاقـات الحضور والغياب كانت ماثلة بوضوح في أذهانهم، وقد أفادوا منها في تحليل كثيرٍ من النماذج الأدبية لاستخلاص ما فيها من ألوان الجمال أو رصد ما فيها من مظاهر الركاكة والضعف.

وبعبارة أخرى: كانت هذه الخاصية من أهم مظاهر تقييم العمل الأدبي عندهم، وهو ما يؤكده بعض النُّقَّاد المحدثين والمعاصرين.

على أن المصطلح المتكرر في وصف العلاقات الأفقية أو المحور التتابعي/ التعاقبي عند نُقَّادنا القدماء - هو (الجوار) أحيانًا و (الضم) أحيانًا أخرى.

والمصطلح المتكرر في وصف العلاقة الرأسية أو محور الاستبدال – عندهم – هو (الاختيار)، وهو ما يؤدي المعنى الحديث بالكامل وفق تعبير بعض النُّقَّاد الحداثيين.

أن بعض البُنى اللغوية أو الأسلوبية إنما يبرز دورها الأسلوبي بغيابها أكثر من حضورها، فما من بنيةٍ لغويةٍ أو أسلوبيةٍ حذفت في الموضع الذي ينبغي أن تحذف فيه إلا كان حذفها هناك أحسن وأبلغ من ذكرها، وكان إضمارها في النفس أولى وآنس من النطق بها.

أن نُقَّادنا القدماء لم ينظروا إلى موضوع الحضور أو الذكر بمعزل عن الغياب أو الحذف، إنما نظروا إلى كلٍّ من طرفي هذه الثنائية في ضوء علاقته بالآخر واستدعائه له أو تطلبه إياه، أو ما يحمله من إشارة إليه أو دلالة عليه، دون تكلفٍ أو اعتساف.

أن تناول النُّقَّاد المحدثين لعلاقات الحضور والغياب دار "في جملته" في فلك القدماء، واقتفى أثرهم في كثيرٍ من

المواضع، وبخاصة عبد القاهر الجرجاني الذي كان محل إشادةٍ وتقديرٍ من أكثر النُّقَّاد المحدثين والمعاصرين الذين تحدثوا عن هذه القضية.

على أن بعضهم قد مال إلى مصطلحي الجوار والاختيار اللذين استخدمهما القدماء، في حين آثر بعضهم التعبير الحداثي (الحضور والغياب)، وحاول وضع تصور نقدي وأساس تنظيري لفهم هذه العلاقات، وطبيعة العلاقة الجدلية بينها، ودور كل منها وأثره في بنية النص وسياقه.

أن كتاب "المثل السائر" لابن الأثير يعد أنموذجًا جيدًا للمصادر الأدبية والنقدية التي ينبغي إعادة قراءتها في حضور خلفية نقدية عصرية، وأن هناك مصادر أخرى: كـ "الوساطة" للقاضي الجرجاني، و "الموازنة" للآمدي، و"الصناعتين" لأبي هلال العسكري، و"العمدة" لابن رشيق، وغيرها، في حاجة ملحة إلى مثل هذه القراءة.

نظر ابن الأثير إلى المفردة على أنها جزء لا يتجزأ من النظم، واعترف بقيمة وجمال الطرفين معًا.

فأول الأسس التي ينبغي أن يقوم عليها الأدب عنده إنما هي الألفاظ المفردة، وحكمها حكم اللآلئ المبددة،

فإنها تُتخيّر وتُنتقى قبل النظم، وللمفردة محاسن تضاف إلى محاسن النظم، ولجرس الألفاظ وقع إيجابي كثيرًا ما يعين الكاتب أو الشاعر على استنفاد إحساسه.

على أن اهتمام ابن الأثير باللفظة المفردة لا يأتي على حساب التركيب أو السياق، فاختيار المفردة ما هو إلا مقدمة لنظمها مع أختها المشاكلة لها، ووضعها في الموضع الذي يتطلبه الموقف والسياق، مع تأكيده أن تفاوت التفاضل يقع في تركيب الألفاظ أكثر مما يقع في مفرداتها؛ لأن التركيب أعسر وأشق.

وهذه النظرة الشاملة للفظة والسياق معًا قد تبناها كثير من النُّقَّاد المحدثين والمعاصرين.

درس ابن الأثير الجملة في إطار النص، ولم يكن تقليديًّا في دراسته، فعندما درس سياق التقديم والتأخير لم يقف عند النظرة الجزئية التي تتعلق بقضايا الإسناد أو التعلق، كتقديم الخبر على المبتدأ، أو تقديم بعض متعلقات الفعل، إنما تجاوز هذه النظرة إلى رؤى سياقية أوسع، كتقديم السبب على المسبب، والكثير على القليل، والأعجب على العجيب.

وقد أثنى بعض النُّقَّاد المعاصرين على دراسته للجملة في إطار النص، وعلى نظرته الشاملة لبعض القضايا الأسلوبية، كدراسته لسياق الحذف في إطار سياق أكبر هو سياق الإيجاز، وسياق الذكر في إطار سياق أعم هو سياق الإطناب، وعدّوا ذلك محاولة جادة يمكن تنميتها في مجال البحث البلاغي الحديث، وربطها بالدراسة الأسلوبية، بحيث يصبح الكل له الأهمية الأولى أو المرتبة الأولى بالنسبة للأجزاء، وإن كانت هذه الأولوية لا تلغي الجزء، ولا توقف تأثيره في السياق.

يحسب لابن الأثير في مثله السائر كثرة شواهده وتطبيقاته التي تدل على سعة علمه، واطلاعه على منظوم الكلام ومنثوره، وتمكنه من أدوات فنه، مما أسهم في نشاط النقد التطبيقي.

وإني لأرجو أن أكون قد أسهمت في تسليط الضوء على هذا الجانب المشرق من تراثنا الأدبي والنقدي، ولو بلفت النظر إلى بعض ما يحمله هذا التراث العريق من قيم أدبية وبلاغية ونقديــة، مما يمكن أن يكون منطلقًا قويًّا لبناء

نظرية عربية في النقد الأدبي تحمل بصمتنا وخصوصيتنا وخصائصنا الثقافية.

فإن كنت قد وفقت فالفضل لله أولًا وآخرًا، وإن كانت الأخرى فحسبي أني حاولت واجتهدت في أن أسخر قلمي لخدمة لغة القرآن الكريم.

* * *

خاتمة رسالة علمية

الاعتذاريات في الشعر العربي حتى نهاية العصر العباسي ... عرض ودراسة وموازنة(*)

تضمن هذا البحث العديد من الأفكار والنتائج التي أثبتُّها وحقَّقتُها مؤيدة بالأدلة في مواضعها من البحث، ويتلخص أهمها في الآتي:

١. أن الاعتذار لم يكن فنًّا هامشيًّا أو فنًّا غير أصيل، فإنه فنٌّ قديم قدم الشعر الجاهلي، نشأ بنشأته، وارتقى بارتقائه، وإذا كان بعض الكتاب يذكرون أن امرأ القيس ومهلهل بن ربيعة من أوائل الشعراء الذين سلكوا سبيل الشعر ومهدوا الطريق إليه فإن عمرو بن قميئة، وعلقمة الفحل معاصري امرئ القيس كانا من رادة فن الاعتذار وأصحاب السبق إليه، مما يدل على أن هذا الفن نشأ وسار مع غيره من الفنون الشعرية جنبًا إلى جنبٍ.

(*) رسالتنا للدكتوراه.

٢. أن الأولية في هذا الفن لا ترجع إلى النابغة الذبياني، ولا إلى عدي بن زيد كما يرى بعض الكتاب، وإنما ترجع إلى عمرو بن قميئة، فإذا كان عدي والنابغة قد اعتذرا إلى النعمان بن المنذر فإن عمرو بن قميئة قد اعتذر إلى جده النعمان الأكبر المعروف بابن الشقيقة، وإذا كان النعمان الأصغر الذي اعتذر إليه عدي والنابغة قد تولى إمارة الحيرة في أواخر القرن السادس الميلادي، فإن ابن قميئة قد مات في النصف الأول منه.

ولا شك أن عديًّا والنابغة قد نهضا بهذا الفن نهضة أرست قواعده، وحددت معالمه، وعبَّدت طريقه لمن جاء بعدهما من الشعراء إلا أن فضل السبق يظل مرتبطًا بعمرو بن قميئة المتوفى سنة ٥٤٠ هـ.

٣. أن الاعتذار الجاهلي لم يكن قصرًا على النابغة أو على النابغة وعدي بن زيد كما توهم النظرة الأولى في كثير من كتب الأدب وتاريخه، فقد كثر شعراء الاعتذار في هذا العصر، وتعددت اتجاهاتهم، وتشعبت مسالكهم، فهذا يعتذر لدى الملوك، وهذا يعتذر عن فراره، وذاك يعتذر عن سواده.

٤. أن الإسلام أضفى جانبًا كبيرًا من الطمأنينة والتفاؤل على شعراء هذا الفن بعد أن كان الشاعر يعتذر وهو يرتجف ويرتعد صار يعتذر وهو على أمل في العفو والصفح، لأن الإسلام دعا إلى ذلك وحث عليه، وأعد للكاظمين الغيظ والعافين عن الناس جنة عرضها السماوات والأرض.

كما أضفى هذا العصر على اعتذار المقاتلين والمسلمين لمسة عظيمة، فخلصه إلى حد كبير من الإعلان عن الجبن والخور، والحرص على الحياة إلى لوم النفس وتأنيبها على ما يَنِدُّ عنها، وحقًّا إننا لا نستطيع أن نجعل لكل إنسان شرطيًّا أو جنديًّا يحرسه، ولكننا نستطيع أن نربي فيه ضميرًا حيًّا ينبض بالحق، فيتحكم في حركاته وسكناته، راقبناه أم لم نراقبه؛ لأنه يراقب من لا يخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

واختفى من قاموس الاعتذار في هذا العصر سائر الألوان التي تتصل بالعيوب البدنية؛ لأن الإسلام وضع لتلك المشكلة حلولًا حاسمة ونهائية، حين أعلن أن الناس لا يتفاضلون بأشكالهم ولا ألوانهم، وأنه لا فضل لعربي على عجمي، ولا أحمر على أسود إلا بالتقوى.

٥. أن التغير الذي حدث في الحياة السياسية والاجتماعية في العصر الأموي ألقى بظلاله على هذا الفن، فبدأت ملامح حزبية تظهر لدى المعتذرين، كما كان لضعف الوازع الديني عما كان عليه في صدر الإسلام أثر في مداهنة بعض الشعراء للولاة، مما بدا أثره واضحا في ضعف عاطفتهم، وظهور التكلف والتصنع في بعض أساليبهم.

٦. أن روح التجديد التي ظهرت واضحة في العصر العباسي قد نبتت جذورها في العصر الأموي، فإذا كان بعض الشعراء العباسيين قد دعا إلى التحلل من النمط التقليدي الذي يستهل بالوقوف على الأطلال وبكاء الديار، فإن بعض الشعراء المعتذرين في العصر الأموي قد تحلل من هذا الأمر.

٧. أن القصيدة الاعتذارية استعادت مجدها في العصر العباسي الذي يعد العصر الثاني بعد العصر الجاهلي في هذا الفن، فقد أسلمت مقادها إلى مجموعة من فحول شعراء هذا العصر من أمثال: البحتري، وأبي تمام، وأبي نواس، وأبي العتاهية، وعلي بن الجهم، وغيرهم.

٨. أن الثقافة التي نتجت عن امتزاج العرب بغيرهم من الأمم ووقوفهم على علوم هذه الأمم وحضاراتها بدت ذات أثر واضح في فن الاعتذار في العصر العباسي، وبخاصة اعتذار المحبين والاعتذار عن الشيب.

٩. أن القصيدة الاعتذارية لم تكن مفككة الأوصال، وأن الشاعر العربي لم يكن ينظم ما خطر له حسبما اتفق كما يدعي بعض الكتَّاب، وإنما كانت هناك وحدة فنية ونفسية، فكانت القصيدة العربية تنهض مجتمعة متشابكة بخدمة الغرض الذي أراده الشاعر.

١٠. أن مقدمة القصيدة الاعتذارية كانت تعكس جانبًا كبيرًا من الحالة النفسية للشاعر، وتمثل إلى حد كبير شعوره الحقيقي تجاه موضوع القصيدة .

وأخيرًا وبعد هذه الدراسة المتأنية لفن الاعتذار، فإني أقرر وباطمئنان أن الدراسة الأدبية والنقدية ليست بالأمر الهين ولا اليسير، وأن الناقد لا بد أن يكون مسلحًا بأدوات كثيرة، وأن العلم بالتاريخ، والوقائع، والأيام، والأنساب يأتي في مقدمة العلم أو الأدوات التي ينبغي أن يتحصن بها؛ لأن بعض الأشعار لا تكاد تفهم إلا في ضوء هذه العلوم

على نحو ما بينت في الحديث عن اعتذار أبي تمام لابن أبي دؤاد، كما أن بعض الأشعار لا تكاد تتحقق نسبتها إلى أصحابها إلا بالوقوف على الحقائق التاريخية على نحو ما بينت في الحديث عن اعتذار عبد الله بن مطيع القرشي عن فراره يوم الحرة.

وإني إذ أقدم هذه الدراسة المتواضعة أقدر أنها جهد المقل، وأرجو أن تكون خطوة على الطريق، وأن أكون قد وفقت إلى إضافة لبنة جديدة إلى ذلكم الصرح الأدبي الشامخ، وأن تكون هذه الدراسة بداية لدراسات أخرى متخصصة تضيف إلى هذا الفن الذي لا يزال متسعًا للعديد من الدراسات الأدبية والنقدية.

وإني لأرفع أكف الضراعة إلى العلي القدير أن يتقبل هذا العمل وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن يجزي عنى أساتذتي، وإخواني، وكل من مدَّ لي يد العون خير الجزاء، إنه على ما يشاء قدير.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب للعالمين

* * *

خلاصات تعريفية

لبعض إصدرات سلسلة "رؤية"

خلاصة تعريفية بكتاب
حماية الكنائس في الإسلام(*)

يبرز هذا الكتاب أن الإيمان بالتنوع سُنَّة من سُنن الله الكونية، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [سورة هود، الآيتان ١١٨ - ١١٩]، فلا إكراه في الدين ولا على الدين، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٥٦].

ويعمل على ترسيخ فقه العيش المشترك وأُسس المواطنة المتكافئة دون تمييز بين أبناء الوطن الواحد

(*) هذا الكتاب شارك في إعداده: أ.د/ شوقي علام مفتي الديار المصرية ، وأ.د/ محمد نبيل غنايم أستاذ الشريعة الإسلامية المتفرغ بكلية دار العلوم جامعة القاهرة ، وأ.د/ عبد الحليم منصور عميد كلية الشريعة والقانون جامعة الأزهر بتفهنا الأشراف الدقهلية ، ود/ مجدي عاشور المستشار العلمي لمفتي الجمهورية ، ود/ هاني سيد تمام أستاذ الفقه المساعد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة.

على أساس الدين أو اللغة أو الجنس أو العرق، فالوطن لجميع أبنائه وهو بهم جميعًا.

ويفند بالحجة والبرهان شبه المبطلين، ويصحح كثيرًا من المفاهيم الخاطئة، سواء أكانت هذه المفاهيم ناتجة عن سوء قصد أم سوء فهم.

خلاصة تعريفية بكتابنا: فهم مقاصد السُّنَّة النبوية .. رؤية عصرية

يهدف هذا الكتاب إلى إلقاء الضوء على أهمية فهم المقاصد الكلية للتشريع بصفة عامة، وضرورة فهم مقاصد السُّنَّة النبوية بصفة خاصة، وفهم مقاصد كل نص أو مجموعة نصوص مترابطة في ضوء غاياتها العُليا مع ضرورة مراعاة ظروف الزمان والمكان وأحوال الناس وأعرافهم وعاداتهم عند قراءة النص وفهم معانيه أو استنباط بعض الأحكام الجزئية منه.

ويقدم الكتاب قراءةً عصريةً لنماذج مختارة من السُّنَّة النبوية المشرفة، بما يؤكد أننا في حاجة ملحة إلى قراءات جديدة لمعظم نصوص السُّنَّة النبوية المشرفة المطهرة في ضوء واقعنا المعاصر الراهن ومستجداته.

كما يلقي الضوء على عدد من القضايا المهمة، مثل: دفع الهلاك ودفع المشقة عن الناس، والعمل في إطار المتيسر لا المتعذر، ومفهوم درء الحدود بالشبهات، وحدود الترويح المباح عن النفس، وغير ذلك من الموضوعات الحياتية المتجددة.

خلاصة تعريفية بكتابنا: ما الفقه؟

يبين هذا الكتاب أن الفقه علم ذو طبيعة خاصة، وأنه صناعة ثقيلة لا يصلح لها الهواة ولا غير المؤهلين، وأنه يحتاج إلى إعداد خاص لصقل شخصية المفتي أو الفقيه.

ويؤكد أن الدين قائم على السماحة واليسر، فالفقه هو التيسير بدليل، مع فهم الواقع والمقاصد والأولويات، وإعمال العقل في فهم صحيح النص، وهو القدرة على التجديد المنضبط بضوابط الشرع.

ويحذر الكتاب من أدلجة الفقهاء والمفتين، ويفرق بوضوح بين الخلاف الفقهي والخلاف السياسي، فاختلاف العلماء سعة، والخروج بالخلاف من الديني أو الفقهي إلى التوظيف السياسي أو الحزبي للفقه أو الفتوى مهلكة للدين والدنيا معًا.

خلاصة تعريفية بكتابنا: الأدب مع سيدنا رسول الله ﷺ

يبين الكتاب أن حب الرسول ﷺ جزء لا يتجزأ من عقيدتنا، وأنه شرط من شروط صحة الإيمان، حيث يقول ﷺ: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده، ووالده، والناس أجمعين".

كما يبين أن الأدب مع سيدنا رسول الله ﷺ يقتضي عدم ذكر اسمه ﷺ مجردًا عما يليق به من الوصف بالنبوة أو الرسالة أو الصلاة والسلام عليه، سواء عند ذكره ﷺ أو عند سماع اسمه عليه الصلاة والسلام أو كتابة اسمه المبارك ﷺ، بالغًا ما بلغ عدد مرات الكتابة أو الذكر.

ويبرز فضائل الصلاة والسلام عليه ﷺ، فهي سبيل رحمة الله ﷻ وعميم فضله، وبها ترفع الدرجات، وتكفر الذنوب والسيئات، وتُنال الشفاعة، وتُكفى الهموم، وتطمئن القلوب.

* * *

خلاصة تعريفية بكتاب
فقه النوازل كورونا المستجد أنموذجًا(*)

ويُعـــدُّ هـذا الكتـاب تأصيـلاً علميًّـا وفقهيًّـا لفقـه النـوازل والمسـتجدات، ويتنـاول قضايـا في غايـة الأهميـة مثـل: الحجـر الصحـي، والعـزل المنـزلي، وأداء العبـادات والشـعائر في زمـن النـوازل والجوائـح، ويجيـب عـلى كثير مـن الأسـئلة الشـائكة في بابـه.

ويؤكد عدم التناقض بين الإيمان والعلم، ويبرز حاجتنا إلى الدعاء والدواء معًا، فليس أحدهما بديلًا عن الآخر ولا نقيضًا له.

ويـبرز العلاقـة بـين القواعـد الفقهيـة والأصوليـة والمسـتجدات العصريـة، مـن خلال إعـمال العقـل في فهم

(*) هذا الكتاب شـارك في إعداده كلٌّ من: أ.د/ محمد سـالم أبو عاصي العميد الأسـبق لكلية الدراسـات العُليا بجامعة الأزهر ، وأ.د/ عبـد الله مبروك النجار العميد الأسـبق لكلية الدراسات العُليا بجامعة الأزهر ، ود/ أشرف فهمي موسى مدير عام التدريب ، ود/ خالد السيد غانم مدير عام بحوث الدعوة سابقًا، مع مشاركتنا وتقديمنا له.

صحيح النص، وحُسن قراءة الواقع، وإسقاط حكم النص على مناطه من الواقع.

كما يوضح الكتاب خطورة التدين المبني على الجهل أو الهوى، وخطورة الجمود عند ظواهر بعض النصوص دون فهم مقاصدها، وما يقتضيه فقه الواقع، وفقه المتاح، وفقه الموازنات، وترتيب الأولويات.

خلاصة تعريفية بكتابنا: هويتنا الواقية في زمن العولمة

يبين الكتاب أن قضية الهوية والحفاظ عليها ليست أمرًا ثانويًّا أو هامشيًّا في حياة الأفراد والدول، بل هي أمر حيوي وديناميكي، ويكفي وصمًا لشخص ما أن يقال عنه: إنه بلا هوية، ولأمة ما أن يقال عنها: إنها أمة بلا هوية، كما يناقش أهم روافد هذه الهوية وعوامل بنائها وتشكيلها.

ويبرز العلاقة الطردية بين الهوية والانتماء، فتجذر الهوية يعني تجذر الانتماء، وهشاشة الهوية تعني هشاشة الانتماء، كما يبرز العلاقة بين الهوية وبناء الصورة الذهنية للشعوب والأمم، من خلال مدى تمسكها بإرثها الحضاري وانتمائها الوطني واستعدادها للحفاظ عليه والعمل على تقدمه،

والتضحية في سبيله، أو مدى تفريطها فيه وتقاعسها عن حمايته والعمل على نهضته ورقيه.

ويؤكد أن هناك من يريدون لأمتنا أن تكون مسخًا أو طمسًا بلا هوية، بلا معالم، بلا لون أو طعم أو رائحة، يريدون لها أن تذوب في هويات أخرى، كي تسهل السيطرة عليها وعلى مقدراتها.

وينبه إلى ضرورة اليقظة والمقاومة لكل محاولات التذويب، والعمل الجاد على تقوية مناعتنا الحضارية في مواجهة موجات التجريف العاتية.

خلاصة تعريفية بكتابنا: بُناة وهدَّامون

هذا الكتاب يبين أن العلم النافع يشمل كل ما ينفع الناس في شئون دينهم ودنياهم، ويفرق بين العلم الكسبي والعلم الكشفي، كما يفرق بين العلم المطلق والعلم النسبي، ويؤكد أن رسالة العلماء الحقيقيين هي البناء والتعمير، وبيان صحيح الدين، والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة.

كما يهدف إلى كشف علماء الفتنة من أبناء الجماعات الضالة الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ويشترون به ثمنًا

قليلًا، ويفضح أساليبهم في بث الأكاذيب والشائعات، وإثارة الفتن، وهدم الأوطان، واستباحة الدماء، وتدمير الحضارات، وحرق الأخضر واليابس، مما يجعل من دحض هذه الأفكار المدمرة واجب الوقت دينيًّا ووطنيًّا وإنسانيًّا.

ويؤكد أن الباني الحقيقي لا يمكن أن يكون هدَّامًا؛ لأنه صاحب نفس ملأى بالخير والإنسانية والقيم النبيلة، فمن يبني لا يحسن أن يهدم، وتلك رسالة العلماء المصلحين، أما جماعات الفتنة والضلال فلا تعرف سوى الهدم والتدمير، لأنها لا تقوم ولا تحيا ولا تعيش إلا على أنقاض الدول، بل على الخيانة والهدم.

* * *

خلاصة تعريفية بكتاب
مفاهيم يجب أن تصحح في مواجهة التطرف(*)

يصحح هذا الكتاب كثيرًا من المفاهيم الخاطئة التي اتخذها أصحاب الأفكار المتطرفة ذريعة لتبرير أعمالهم الإجرامية المنكرة، ويناقش بالحجة والبرهان هذه المفاهيم المغلوطة ويفندها، ومنها: التكفير، والحاكمية، والجهاد، والمواطنة، والإرهاب، والجزية، ودار الحرب، والعلاقة بين الدين والدولة، ونظام الحكم، والمتاجرة بقضية الخلافة.

ويؤكد الكتاب على مشروعية الدولة الوطنية، وبيان أن مصالح الأوطان لا تنفك عن مقاصد الأديان، وأن الإرهاب لا دين له ولا خلق ولا قيم، ولا عهد له

(*) هذا الكتاب من إعداد: أ.د/ محمد سالم أبو عاصي العميد الأسبق لكلية الدراسات العُليا بجامعة الأزهر ، وأ.د/ عبد الله مبروك النجار العميد الأسبق لكلية الدراسات العُليا بجامعة الأزهر ، مع مشاركتنا وتقديمنا له.

ولا ذمة؛ مما يتطلب اصطفافًا وطنيًّا ودوليًّا لمواجهته، وتخليص الإنسانية من شروره وآثامه.

ويؤكد أننا بحاجة ماسة إلى العمل بقوة على بناء الشخصية الوطنية بكل أبعادها الإيمانية والأخلاقية، وبما يرسخ للقيم الإنسانية الراقية النبيلة.

* * *

خلاصة تعريفية بكتاب
قواعد الفقه الكلية(*)

يهدف هذا الكتاب إلى بيان أثر فهم قواعد الفقه الكلية في نقل دارسي العلوم الشرعية من دوائر الحفظ والتلقين إلى مناهج الفهم والتفكير، وفتح آفاق التجديد من خلال رفع القداسة عن غير المقدس من الأشخاص والآراء البشرية، وقصر التقديس على الذات الإلهية وعلى كتاب الله ﷻ، وسُنَّة نبيه ﷺ.

كما يهدف إلى بيان أن الأحكام الفقهية الجزئية المستنبطة باجتهاد المجتهدين في قراءة النصوص ليست قرآنًا، وأن بعضها قابل للتغير وفق مقتضيات الزمان والمكان والأحوال والأشخاص.

كما أن الجزئيات لا تكاد تنحصر لكثرة ما يستجد منها، مما يتطلب التعمق في دراسة مفاتيح العلم وأدوات

(*) سبق التعريف بهذا الكتاب صـ ٣٧ عند عرض مقدمته.

الاجتهـاد والفهـم من خـلال دراسـة: علم أصـول الفقه، وقواعـد الفقـه الكليـة، وفقه المقاصـد، وفقـه الأولويات، وفقـه الواقـع، للتعامـل مـع كل الجزئيـات المسـتجدة والمسـتحدثة برؤيـة عصريـة مسـتنيرة واعيـة.

* * *

خلاصة تعريفية بكتاب
خطورة التكفير والفتوى بدون علم(*)

يؤكد هذا الكتاب أن الإسلام دين يكفل حرية الاعتقاد: فـ "لا إكراه في الدين"، وأنه يسوي بين الناس في المواطنة والحقوق والواجبات على اختلاف معتقداتهم دون تمييز، وأن عماده العدل والرحمة وصيانة القيم والدفاع عنها، وقبول التنوع واعتباره سرًّا من أسرار عمارة الكون.

ويبين أن الإسلام دين يحترم العقل أداة للفكر الصحيح، وأنه بريء مما يرتكبه بعض المنتسبين إليه من التكفير، أو الفتوى بدون علم، وأنه لا يصح أن يحتج على الإسلام

(*) هذا الكتاب شارك في إعداده كلٌّ من: أ.د/ محمد إبراهيم الحفناوي أستاذ أصول الفقه المتفرغ بكلية الشريعة والقانون بطنطا، وأ.د/ محمد سالم أبو عاصي الأستاذ بكلية أصول الدين وعميد كلية الدراسات العُليا الأسبق، وأ.د/ مصطفى محمد عرجاوي عميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات جامعة الأزهر، وأ.د/ بكر زكي عوض عميد كلية أصول الدين السابق بالقاهرة، وأ.د/ عبد الله مبروك النجار عميد كلية الدراسات العُليا الأسبق بجامعة الأزهر ، وأ.د/ سيف رجب قزامل عميد كلية الشريعة والقانون الأسبق بطنطا.

بأخطاء بعض المنتسبين إليه، ولا بسوء فهمهم له، أو انحرافهم عن منهجه، كما لا يصح أن يحتج على الأديان الأخرى بأخطاء بعض المنتسبين إليها.

ويوضح أن الفتوى بغير علم إثمٌ عظيمٌ ومفسدةٌ كبيرةٌ، وأن من تجرأ على الفتوى بغير علم فأصاب فعليه وزر، فإن أخطأ فعليه وزران: وزر لخطئه وآخر لجرأته على الفتوى.

خلاصة تعريفية بكتابنا: الكمال والجمال في القرآن الكريم

يبرز هذا الكتاب بعض وُجُوه الكمال والجمال المعنوي في القرآن الكريم، من خلال حديثه عن الصبر الجميل، والصفح الجميل، والسراح الجميل، والهجر الجميل، والسعي الجميل، والعطاء الجميل، واللباس الجميل، والكلمة الجميلة، والتحية الجميلة، والخاتمة السعيدة.

كما يبرز بعض مواطن الكمال والجمال اللغوي في استخدام المفردة اللغوية التي لا يسد مسدها سواها، لا من المترادفات عند القدماء ولا من حقول الاستبدال الرأسي أو الأفقي عند المُحْدَثين، ويقف على بعض مواطن الكمال والجمال في الجمل والتراكيب الأسلوبية، مبينًا أن ما حذف لا يصلح مكانه الذكر، وما ذكر لا يصلح مكانه الحذف.

وعلى الجملة فهو أصدق الحديث وأجمله، وأحسن الكلام وأعذبه، وأفصحه وأبلغه، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾.

خلاصة تعريفية بكتابنا: مهارات التواصل في السُّنَّة النبوية

يتناول هذا الكتاب أهم وسائل وأساليب التواصل في السُّنَّة النبوية المشرفة، ويبرز بعض الجوانب الإنسانية في حياة رسولنا الكريم ﷺ، ويبين أن الدعوة بالقدوة والحال أبين وأجل وأوضح وأكثر تأثيرًا من الدعوة بالمقال، فحال رجل في ألف رجل خير من كلام ألف رجل في رجل.

ويؤكد أن رسولنا الكريم ﷺ الذي بلغ الرسالة وأدى الأمانة على أكمل وجه بذل وسعه في سبيل البلاغ المبين، مستخدمًا سائر مهارات وأساليب ووسائل التواصل الدعوي والإنساني في أرقى صورها.

ويبين ضرورة الاقتداء بنبينا ﷺ في ذلك، وأن نتسلح بكل مهارات التواصل الحديثة والعصرية في سبيل أداء مهامنا الإصلاحية والدعوية المستنيرة، وأن يكون ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة، ميسرين لا معسرين ولا منفرين.

خلاصة تعريفية بكتابنا: الجذور التراثية للنقد الأدبي

هذا الكتاب يؤرخ لمسيرة النقد الأدبي من العصر الجاهلي إلى العصر العباسي، ويُبرز أهم الملامح والرُّؤى النقدية في كل عصر من هذه العصور؛ بمقاييس تلك العصور لا بمقاييس غيرها.

ويؤكد أن العقلية العربية لم تكن أبدًا عقلية جامدة، بل كانت عقلية واعية فطنة وناضجة، فهم أرباب الفصاحة والبلاغة والبيان، وإن اقتضت طبيعة حياتهم الأولى أن يكون نقدهم فطريًّا ذاتيًّا.

ويُبين أن النقد شأن سائر العلوم والفنون التي تتطور عبر الزمن ليُبْنَى لاحقها على سابقها حتى تستوي فنًّا مكتمل الأركان شأن سائر نظريات التطور والارتقاء.

ويُوَضح أن تلك الجذور التراثية لنقدنا الأدبي العربي قد شكَّلت منطلقًا ومرتكزًا قويًّا لنظريات النقد الأدبي العربي في عصوره المختلفة وصولًا إلى العصر الحاضر.

خلاصة تعريفية بكتابنا: الكليات الست

يبين هذا الكتاب أن عدد الكليات وترتيبها إنما هو نتاج رؤية العلماء والمجتهدين لما يجب الحفاظ عليه باعتباره أمرًا

ضروريًّا، وأن الأمر متسع للاجتهاد في عددها وترتيبها كونها اجتهادًا بشريًّا، وليس قرآنًا ولا سُنَّة.

كما يهدف إلى بيان أن الحفاظ على الوطن لا يقل أهمية عما ذكره العلماء من الكليات الأخرى؛ إذ لا يوجد وطني شريف لا يكون على استعداد لأن يفتدي وطنه بنفسه وماله.

ويؤكد أن الحفاظ على الدين مقصوده الأسمى الحفاظ على أصل الدين ومقاصده، أما عند التفصيل فقد يتقدم حفظ النفس على التمسك ببعض الجزيئات، فللإنسان المضطر أن يأكل من الميتة المحرمة شرعًا ما يحفظ به أصل النفس.

ويوضح الكتاب أن الشرع الحنيف قد أحاط الدين والنفس والعقل والمال والنسل والعرض والنسب بسياجات من الصيانة والحفظ، تحفظ للإنسانية حرمتها وكرامتها، وتضبط مسارات حركتها بضوابط محكمة لا تمييز فيها ولا إقصاء.

* * *

خلاصة تعريفية بكتاب

نعمة الماء.. نحو استخدام رشيد للمياه(*)

يقدم هذا الكتاب تأصيلاً علميًّا شرعيًّا لضوابط استخدام المياه وبيان أهميتها، وأثرها في بناء الحضارات، وضرورة الحفاظ عليها من خلال: ترشيد استهلاكها، وعدم الاعتداء عليها، أو الإسراف فيها.

ويتناول الكتاب حديث القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية المطهرة عن الماء، وجانبًا مهمًّا من حديث الفقهاء عنه، وفيه تأكيد واضح على أن كل نقطة ماء تساوي حياة، كما أنها تساوي مالًا متقومًا، وأن فقدها أو إهدارها يعني إهدارًا لمقدرات مهمة يجب الحفاظ عليها.

ويضم الكتاب ملحقًا فنيًّا إرشاديًّا عن السلوكيات السلبية التي يجب اجتنابها، والسلوكيات الإيجابية التي

(*) سبق التعريف بالكتاب، ص ٣٨ عند عرض مقدمته.

ينبغـي اتباعهـا في التعامـل مـع المـاء؛ بغيـة الوصـول إلى ثقافـة مجتمعيـة رشـيدة في ذلـك.

* * *

خلاصة تعريفية بكتاب
مخاطر الإلحاد وسُبل المواجهة(*)

يهدف هذا الكتاب إلى بيان مخاطر الإلحاد المسيس أو الموجه الممول، قصد الإتيان على مجتمعاتنا من داخلها وتفتيتها بأيدي بعض أبنائها.

ويفرق بين حرية المعتقد والاستهداف السياسي تحت مسمى حرية الاختيار، فحرية المعتقد مكفولة، والاستهداف الموجه قصد إثارة الفوضى وإسقاط الدول أو إضعافها من الداخل أمر لا يمكن أن يقبله أحد.

كما يقدم الكتاب حلولًا لمواجهة الفكر الإلحادي ومعالجة أسبابه وتفنيد شبه الملحدين، مع إبراز أهمية التدين الصحيح الخالص لوجه الله تعالى، وليس التدين الشكلي أو السياسي الصاد عن دين الله.

(*) هذا الكتاب من إعداد: الإدارة المركزية للسيرة والسُّنَّة بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

ويتناول الطرق الوقائية والعلاجية للإلحاد، ودور المؤسسات الدينية والتعليمية والثقافية والمجتمعية في التوعية بمخاطره وتحصين مجتمعاتنا منه.

خلاصة تعريفية بكتابنا: في رحاب فن المقال

ويؤكد هذا الكتاب أن فن المقال هو فن الفكرة المركزة، واللمحة العابرة، والكلمة المنتقاة، وهو من أهم ما يميز صحيفة على أخرى، ويعطي لهذه ميزة على تلك، فالمقال ليس مجرد هواية أو فكرة عابرة؛ إنما هو علم وفن كسائر العلوم والفنون، يظل فيه المتخصص متخصصًا، والمبدع مبدعًا، والمثقف مثقفًا، والمفكر مفكرًا، والهُواة هُواة.

ولا شك أن في نفس كل إنسان منا أسئلة يراها مشروعة، وأخرى يراها ممنوعة، أو يتوجس أن تكون ممنوعة، أو يطوي عليها نفسه ولو بشق الأنفس، غير أن هذا المنع ليس شرطًا في كل الأحوال أن يكون ناتجًا عن عوامل خارجية، فقد يكون المنع ذاتيًّا ناتجًا عن شدة الإحساس بالمسئولية، أو الالتزام الأدبي أو الاجتماعي، وفي فنون المقال متسع كبير لما تحمله النفوس، أو تكنه الضمائر مباشرة، أو تلميحًا، أو إسقاطًا، عرضًا أو تحليلًا أو نقدًا.

الموضوع

المقدمة	٥
توطئة: أهمية المقدمات والخواتيم	٧
المبحث الأول: مقدمات سلسلة "رؤية"	١٣
الجاهلية والصحوة	١٥
العقل والنص	٢٣
فقه الدولة وفقه الجماعة	٢٩
قواعد الفقه الكلية	٣٧
فقه بناء الدول	٤٥
تنظيم النسل ومتغيرات العصر	٥٣
نعمة الماء	٦١

الحوار الثقافي بين الشرق والغرب	٦٥
المبحث الثاني: مقدمات أُخر	٧١
الفكر النقدي بين التراث والمعاصرة	٧٣
مقدمة رسالتنا للدكتوراه: "الاعتذاريات في الشعر العربي حتى نهاية العصر العباسي.. عرض ودراسة وموازنة"	٧٩
المبحث الثالث: خواتيم وخلاصات	٩٣
الفكر النقدي بين التراث والمعاصرة	٩٥
خاتمة رسالتنا للدكتوراه: "الاعتذاريات في الشعر العربي حتى نهاية العصر العباسي.. عرض ودراسة وموازنة"	١١١
خلاصات تعريفية لبعض إصدارات سلسلة "رؤية"	١١٧

الهيئة المصرية العامة للكتاب

المشرف على المشروعات الثقافية
مروان حماد

متابعة
فريال فؤاد

المراجعة اللغوية
د. حسن أحمد خليل
سيد عبد المنعم

تصميم الغلاف
محمد بغدادي

الإخراج الفني
أحمد طه محمود

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٨٠٦٠/ ٢٠٢١
ISBN 978-977-91-3458-1